



تصدرها رابطة العالم الإسلامي  
مكة المكرمة

# من حصاد الفكر الإسلامي

دكتور  
محمد بهي الدين سالم

السنة الحادية عشرة - العدد ١٢٣ - ربيع الأول ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م





# من حصاد الفكر الإسلامي

دكتور  
محمد بهي الدين سالم

السنة الحادية عشرة . العدد ١٢٣ . ربيع الأول ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢ م

الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ

صدق الله العظيم



# تقديم

## من حصاد الفكر الإسلامي

كتاب يعتبر بحق رحلة إبداعية شيقة حرص فيها المؤلف على أن يقدم لنا ذخيرة حية من الزاد الإسلامي لقراء العربية ليقنات منه كل من أراد المزيد من معين الفكر الإسلامي الصافي ، ولا غرو فقد طوف بنا صاحبه في أكثر من مجال متوخياً الحق والصدق ، بعيداً عن كل وهم باطل وخيال كاذب .

**أولاً :** القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

**ثانياً :** آراء بعض المفكرين الملهمين حتى لا يكون في ذلك مجال للشك أو التخمين .

ومن هنا جاء الكتاب نابضاً بالخير ناطقاً بالحياة المثل التي ينشدها كل مسلم يبتغي الهدى والرشاد ، ويسعى إلى بلوغ الفضل والاتجاه نحو الكمال .

وإذا كان الكاتب - كما قلنا - قد طوّف بنا في أكثر من مجال من مجالات المعرفة الإسلامية الخصبة ، فإنه بلا ريب قد وفاها حقها كاملاً ،

ولم يتركها إلا واضحة المعالم ، صادقة الأدلة والشواهد ، حيث نراه هنا يبين لنا أن الإسلام عقيدة وشريعة ، وأن الله - سبحانه وتعالى - قد اختار نبيه ورسوله محمداً ﷺ ليقوم بتبليغه وتفضيله وتوضيحه للناس كافة ، حتى يكون في ذلك الحجة البالغة على الناس أجمعين . . . ثم يمضي مستطرداً في التوضيح فيبين للقارئ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه منبثقة ومستلهمة مما كتبه الكاتب الكبير المرحوم عباس محمود العقاد فينقل إلينا بعض آرائه وأفكاره بها في ذلك من تساؤلات يتولى الكاتب الرد عليها فيكشف بذلك القناع عن تلك الحقائق ، ويجلو ما عسى أن يكون قد اكتنف بعضها من غموض ، ثم يتطرق بعد هذا إلى كتاب الله العظيم ، ليرى القارئ مدى الإعجاز البالغ ، والأسلوب الحكيم والنور المبين في آياته الكريمة فيوفق حق اليقين أن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن الله - جلت قدرته - قد بين فيه كل شيء ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ .

ثم ينقلنا إلى المجتمع الإسلامي كما نظمته سورة النساء . فيستوحي منها كثيراً من المعالم القيمة مسترشداً في ذلك بما سبق أن كتبه فضيلة المرحوم الشيخ محمد محمد المدني في كتابه القيم الذي أصدره من قبل في هذا الموضوع ، هذا فضلاً عن حديثه عن الإسلام والحياة ، وما إنتهى إليه من نتيجة حتمية وهي أن الإنسان والمجتمع كلاهما في حاجة دائمة للدين والتخلق بأخلاق القرآن الكريم وسنة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - .

وأما عن المرأة في ظل الإسلام فقد أفرد لها المؤلف جانباً تناول فيه كل ما يتعلق بالمرأة من العناية بها والمكانة الكريمة التي خصتها بها الدين

الإسلامي ، والتي لم يسبق أن حظيت بها في أن تشريع سماوي آخر ، ولا حتى في المجتمعات الإنسانية التي تعارف الناس عليها فيما بينهم .

فإذا جئنا إلى الحج والعمرة نجد أنها قد أخذنا نصيهما كاملاً من الكتابة عنهما من حيث الأحكام الخاصة بهما ، وما يتعلق بكل منهما من خصائص إلى غير ذلك مما سيراه القارئ إن شاء الله .

ذلكم قبس يسير مما سجله الباحث في هذا الكتاب الحافل بالفرائد الطريفة والطرائف الفريدة ، وقد جمع الكاتب شتاتها ونظمها في عقد متناسق ، وأسلوب شائق تهفو له النفوس فتقرؤه علماً نافعاً ، وفناً رقيقاً ممتعاً ، وليست هذه أول بذرة يغرسها المؤلف في هذا الروض المزهري ، ولا أول ثمرة يجنيها القارئ من ورائه ، فقد سبق له أن غرس في هذا الحقل الإسلامي ، وقطفنا منه ثماراً شهية ريحها طيب وطعمها طيب .

وبعد فلأن هذا الكتاب الذي بين أيدينا كتاب نافع مفيد ، وهو ثمرات مباركة من حصاد الفكر الإسلامي يقدمها الدكتور محمد بهي الدين سالم إلى قراء العربية وإلى المكتبة الإسلامية بعد سياحة طويلة في كتب العلم والأدب ، وبعد جهد كبير بذله في الرجوع إلى أمهات المصادر العلمية والأدبية فاستفاد منها بحمد الله وأفاد .

نسأل الله أن ييسر سبيل هذا الكتاب إلى القلوب ، وأن يزيد صاحبه هدى ورشاداً وتوفيقاً وسداداً .

هذا وفي الله العون ومنه التوفيق .

#### أ. د. محمد الطيب النجار

رئيس جامعة الأزهر سابقاً وعضو مجمع البحوث الإسلامية ، وعضو مجمع اللغة العربية والمشرق العام على مركز السيرة والسنة





# فاتحة القول

أخي المسلم في كل مكان من أرض الله ، يسمع  
فيه صوت « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

أحيك بتحية الإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .  
وأدعوك إلى مائدة من موائد الرحمن تحفل بوجبة دسمة ليست للملء  
البطون ، ولكن للملء العقول والقلوب .

نعيش من خلال عناصرها في رحاب القلم وما يسطرون حصا صفة  
مميزة من مفكري الإسلام علماء أجادوا أفنوا النصيب الأوفى من أعمارهم ،  
في جهاد النفس ونكران الذات . ليخروجوا على الناس بمصنفاتهم في  
فقه الإسلام « عبادات ومعاملات » يحملون مشعل العلم والمعرفة في إطار  
من نفحات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وما آتاهم الحق تبارك  
وتعالى من تجليات يهدونها للبشرية طريق هداية ورشاد ، وأسلوب حياة  
وعمل .

أما عناصر هذه المائدة فهي :

أولاً : مباحث في القرآن شريعة الحق شريعة الله .

ثانياً : مباحث في السيرة والسنة النبوية المطهرة .

ثالثاً : مباحث متنوعة .

أخي المسلم . . لعلنا نكون قد وفقنا فيما قدمناه من عناصر أثرت ،  
وستظل تثري المكتبة الإسلامية والفكر الإسلامي على مر العصور .  
هذا وعلى الله قصد السبيل .

**دكتور محمد بهي الدين سالم**  
وكيل وزارة الأوقاف لشؤون مركز السيرة والسنة  
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية



**الإسلام عقيدة وشرعة**



**الإسلام** هو دين الله ، الذى أوصى بتعاليمه فى أصوله وشرائعه إلى النبى المصطفى محمد ﷺ كلفه بتبليغه إلى الناس كافة ، ودعوتهم إليه ... وقد آمن كل من أخضع قلبه للحق بأنه من عند الحق تبارك وتعالى ... أوحاه إلى خاتم أنبيائه .

وقد اتصلت بالقرآن الكريم - بعد أن التحق محمد بالرفيق الأعلى - افهام العلماء والأئمة فيما لم يكن من آياته نصا فى معنى واحد ومن هذا الجانب اتسع ميدان الفكر الإنسانى ...

أما العقائد الأصلية كالإيمان بالله واليوم الآخر وأصول الشريعة فإن نصوصها جاءت فى القرآن واضحة ، والإسلام دين يتسع للحرية الفكرية العاقلة ، مسائراً جميع أنواع الثقافات الصحيحة والحضارات النافعة . . ومن القرآن عرف أن الإسلام له شعبتان لا يتحقق معناه إلا إذا أخذت الشعبتان حظهما من التحقق والوجود ... هاتان الشعبتان هما : العقيدة والشريعة ...

### عزيزى القارئ :

من بين كبار علماء أزهرنا الشريف العالم الفاضل المفضل المرحوم الشيخ محمود شلتوت ، تولى مشيخة الأزهر عام ١٩٥٨ م . وكان - رحمه الله عليه - من صفوة الصفوة فى علوم الدين ، قدم للعالم الإسلامى إنتاجاً غزيراً ... لعل من أبرزه : فقه القرآن والسنة ، منهج القرآن فى بناء

المجتمع ، تنظيم العلاقات الدولية في الإسلام ، من توجهات الإسلام ، الإسلام والوجود الدولي للمسلمين . وكتاب (الإسلام عقيدة وشريعة) من بين هذه المجموعة القيمة من كتب الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت .

قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام :

**القسم الأول :** العقيدة وتتضمن :

( ١ ) العقائد الأساسية في الإسلام ، ( ب ) طريق ثبوت العقيدة .

**القسم الثاني :** الشريعة وتتضمن :

( ١ ) العبادات ، ( ب ) نظام الأسرة والموارث ، ( ج ) الأموال والمبادلات ، ( د ) العقوبات ، ( هـ ) المسئولية المدنية والجنائية في الشريعة ، ( و ) الأمة في الإسلام . وختم القسم ببيان عن الأخلاق في الإسلام .

**القسم الثالث والأخير :** مصادر الشريعة ويتضمن :

( ١ ) القرآن الكريم ، ( ب ) السنة النبوية الشريفة ، ( ج ) أسباب اختلاف الأئمة في فقه القرآن والسنة ، وختم القسم ببيان في الرأي والنظر .

ومعك عزيزي القارئ نتجول بين دفتي الكتاب لتعم الفائدة ويزداد النفع بإذن الله .

**العقيدة :**

هي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شيء إيماناً لا يرتقى إليه شك ، ومن طبيعة العقيدة تضافر النصوص الواضحة على تقريرها ، وإجماع المسلمين عليها ، وهي أول ما دعا إليه الرسول الأعظم - صلوات الله وسلام عليه - وطلب من الناس الإيمان به في

المرحلة الأولى من مراحل الدعوة ، وهى دعوة كل رسول قبل الرسول الخاتم .

والعقيدة هى الأصل الذى تبنى عليه الشريعة والإسلام يحتم تعانقهما بحيث لا تنفرد إحداهما عن الأخرى . والعقائد الأساسية فى الإسلام هى :

**أولاً : وجود الله ووحدانيته .**

**ثانياً :** ان الله سبحانه يصطفى من عباده ما يشاء ، ويحملة رسالته عن طريق ملائكته ووحيه ، ثم يبعثه إليهم رسولاً يبلغهم ويدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح .

**ثالثاً :** الإيمان بالملائكة - سفراء الوحي بين الله ورسله وبالكاتب ... رسالات الله إلى خلقه .

**رابعاً :** الإيمان بما تضمنته هذه الرسالات من يوم البعث والجزاء (الدار الآخرة) ومن أصول الشرائع والنظم التى ارتضاها الله لعباده ، مما يناسب استعدادهم ، وتقضى به مصالحهم على الوجه الذى يكونون به مظهرًا حقاً لعدله ورحمته ، وجلاله ، وحكمته . وقد جعل الإسلام عنوان تحقق هذه العقائد عند الإنسان الشهادة بأن الله واحد وأن محمداً رسوله ، وهذا هو الحد الفاصل بين الإسلام والكفر ، والإسلام حينما يطلب من الناس أن يؤمنوا بتلك العقائد لا يحملهم عليها إكراهاً ، وكذلك لا يحملهم عن طريق الخوارق الحسية التى يدهش بها عقولهم ، وإنما حجته التى لفتت إليه الأنظار فيما يتعلق بعقيدة الإله وجوداً ووحدانية وكمالاً دائرة بين النظر الفعلى وبين ما يجد الإنسان فى نفسه من الشعور الباطنى والإحساس الداخلى .

على هذا النحو لفت القرآن أنظار الناس فيما يتعلق بعقيدة الإلهية



، أما فيما يتعلق بالرسالات فقد كانت حجته المعجزة الدائمة التي تعمل عليها في العقول عن طريق النظر مهما امتدت بها الحقب ، وهي القرآن الكريم .

وكما أرشد القرآن الكريم إلى هذا الجانب أرشد في جانب الإله إلى ما وصفه هو سبحانه وتعالى من أساء وصفات تمثل ذاته ، وليس للمسلم أن يناجي ربه باسم أو صفة لم يضعها الله لنفسه .

أما العقيدة الثانية بعد الإيمان بالله تعالى فهي العقيدة في الملائكة ، فقد جاء في القرآن أنهم جند من جنود الله حجب حقيقتهم عن الإدراك البشري ، خاضعون لسلطات الإلوهية العام ، الذي لم يشذ عن الخضوع له شيء في الطبيعة أو فيها وراءها ، وهم وسائل الصلة بين الله وخلقه ، أما الروح فلم يرد عنها في القرآن سوى قوله تعالى : ﴿إِذَا سُوِيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ . (الحجرات ٢٩) .

وقوله سبحانه : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغْتَ الْحُلُقُومَ ، وَأَنْتُمْ حِينَتْذَ تَنْظُرُونَ﴾ (الواقعة ٨٣) . وأما حقيقتها فقد ترك القرآن بيانها .

وكما طلب الإسلام الإيمان بالملائكة طرفاً أعلى في طريق وصول الهداية العليا للإنسان طلب الإيمان بالرسول طرفاً متصلاً بالإنسان طبيعتهم من طبيعته وبشريتهم من بشريته ، وقد تعاقبت الرسالات على الإنسان أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل ، وكلها ذات هدف واحد وهو توجيه الإنسان إلى طريق الكمال .

والإسلام لا يفرق بين الرسل ، وطلب الإيمان بما أنزل عليهم جميعاً ، وكما طلب الإسلام الإيمان بجميع الرسل ، وطلب الإيمان بأن محمداً - عليه الصلاة والسلام - خاتم الأنبياء والمرسلين ، ووظيفة الرسل لا تعدو الإرشاد والتعليم عن طريق الوحي لهم أسمى مكانة الاحترام والقيادة

الروحية التهذيبية ، وهم بعد ذلك لا يملكون نفعاً ولا ضراً لأنفسهم فضلاً عن غيرهم .

وقد أكد القرآن بشرية الرسل وإنهم برسالاتهم لم يخرجوا عن طبيعتهم البشرية ، أما الأولياء الذين يعرفهم الإسلام ، فقد بينهم القرآن بعبارة واضحة ليس فيها ما يدل على أن لهم امتيازاً خاصاً يلحق بهم نوعاً من القداسة .

ومن أهم عناصر الإيمان في الإسلام ، الإيمان بيوم الحساب وقد عبر عنه القرآن الكريم باليوم الآخر ، وأرشد إلى أنه خاتمة المطاف بالإنسان .

هذه هي العقائد الأساسية للإسلام ، وهي تقرر أنها أساس كل دين إلهي ، - وإذاً - فالأديان التي لا تبنى عليها - في حكمه - أديان باطلة لا يقام لها وزن ، فالإسلام ينكر - على الملحددين الذين لا يؤمنون بالإله الخالق - إلحادهم ، وعلى المشركين الذين يعبدون مع الله غيره شركهم ، وينكر الذين لا يؤمنون بالملائكة والكتب واليوم الآخر عدم إيمانهم ويدعوهم جميعاً إلى الإيمان بتلك العقيدة عن طريق النظر والحجة .

### طريق ثبوت العقيدة :

اتفق العلماء على أن الدليل العقلي الذي سلمت مقدماته وانتهت في أحكامه إلى الحس أو الضرورة يفيد ذلك اليقين ويحقق الإيمان المطلوب .

أما الأدلة النقلية فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها لا تفيد اليقين ، ولا تحصل الإيمان المطلوب ولا تثبت بها وحدها عقيدة ، ولا بد أن يعم العلم بها جميع الناس ، ولا يختص بطائفة دون أخرى ، لأنها أساس

الدين ، والعمليات التي ترد بطريق منطقي أو لابسها احتمال واختلف فيها العلماء ليست من العقائد التي يكلفنا بها الدين والتي تعتبر حداً فاصلاً بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون .

وتطبيقاً لهذه المبادئ يتبين ان الطريق الوحيد لثبوت العقائد هو القرآن الكريم وذلك فيما كان من آياته قطعى الدلالة ، وأيضاً يثبت بالحديث الصحيح ، وينهض حجة عليها إذا كان قطعياً في وروده ودلالته . أما الاجماع فقد اختلفوا في حقيقة وحجية ما يكون فيه من أحكام لذا فحجيته في ذاتها غير معلومة بدليل قطعى فلا يكفر منكروه .

ومن مباحث العقيدة التي تشكل القسم الأول من الكتاب إلى الشريعة القسم الثانى منه : فالشريعة اسم للنظم والأحكام التي شرعها الله ، أو شرع أصولها وكلف المسلمين إياها ليأخذوا أنفسهم بها في علاقتهم بالله ، وعلاقتهم بالناس وإنها على كثرتها ترجع إلى ناحيتين رئيسيتين :

ناحية العمل الذي يتقرب منه المسلمون إلى ربهم ، ويستحضرون به عظمتهم ، ويكون عنواناً على صدقهم في الإيثار به ، ومراقبته ، والتوجه إليه ، وهذه الناحية هي المعروفة في الإسلام باسم «العبادات» .

وناحية العمل الذي يتخذه المسلمون سبيلاً لحفظ مصالحهم ، ودفع مضارهم ، فيما بينهم وبين أنفسهم ، وفيما بينهم وبين الناس على الوجه الذي يمنع المظالم ، وبه يسود الأمن والاطمئنان وهذه الناحية هي المعروفة في الإسلام باسم «المعاملات» .

## العبادات :

هي الصلاة والصوم والزكاة والحج ونظراً إلى أن المقصود من هذه

العبادات الأربع - مضمونة إلى الاقرار بوحداية الله سبحانه وتعالى ورسالة محمد - ﷺ - هو تطهير القلب ، وتركيز النفس ، وقوة مراقبة الله ، التي تبعث على امتثال أوامره ، والمحافظة على شرائعه ، في جميع نواحيها كانت هي العمدة التي يبنى عليها الاسلام ، وفي ذلك يقول النبي - صلوات الله وسلامه عليه - « بنى الإسلام على خمس ، شهادة ان لا إله إلا الله ، وان محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » .

## الصلاة :

عبادة بدنية فرضها الله على المسلم في اليوم والليلة خمس مرات في أوقات محددة ، يقف فيها مستقبلا بوجهه - أينما كان - جهة المسجد الحرام بمكة المكرمة ، وقد كانت الصلاة - لما لها من الأثر العظيم في تهذيب النفوس وتقريبها إلى ملائكة الطهر - أقدم عبادة عرفت مع الايمان ولم تخل منها شريعة من شرائع وقد حكيت عن الأنبياء والمرسلين .

والصلاة أيضا ليست - كما يظن كثير من المسلمين - مجرد عبادة شخصية ، يقوم بها المؤمن فيما بينه وبين ربه ، تقتصر فائدتها على تهذيب النفس وإنما هي - مع ذلك - جعلت عن طريق الاجتماع لها - فرضا كان الاجتماع أم سنه أم فضيلة - سبيلا لتعارف المؤمنين ، وتفاهمهم فيما يحتاجون إليه من خير في دينهم ودنياهم .

## والزكاة :

عبادة مالية ، أراد بها الإسلام أن يمد الغنى يده إلى الفقير بما يسد حاجته ، وإلى المصالح العامة بما يحققها ، وهي واجبة على الغنى فيما يزيد عن حاجته وحاجة من ينفق عليهم ، من ماله النقدي وقيم أعيانه

التجارية ومواشيه وثمار زرعه ، بنسب معروفة عند المسلمين يقوم مجموعها بحاجة الفقير والمصالح ولا ترهق أربابها وزكاة النقود والتجارة تؤدي في كل عام مرة وزكاة الزرع تؤدي في كل زراعة .

### أما الصوم :

فهو العبادة الدينية الثانية ، وهو الامتناع عن الأكل والشرب والملامسة الجنسية طول النهار - من الفجر إلى غروب الشمس - بقصد امتثال أمر الله ، وقد فرضه الله فرضاً عاماً على جميع القادرين في شهر رمضان من كل عام .

### والحج :

عبادة معروفة ، تنتظم من الإنسان قلبه وبدنه وماله ، وليس ذلك لغيرها من العبادات ، يقوم بها المستطيع من المسلمين في زمن معلوم ، وأمكنة معلومة امتثالاً لأمر الله ، وإبتغاء مرضاته ، وتبتدىء تلك العبادة بنية الحج خالصاً لله ، مع التجرد من الثياب المخيطة ، ومن صنوف الزينة والترف وتنتهى بالطواف حول بيت الله الحرام .

ومن أركان الإسلام الخمس إلى نظام الأسرة والموارث «الباب الثانى من مباحث الشريعة» بدأ بالأسرة فقد أفرغ الإسلام على عقد الزواج صيغة «الميثاق الغليظ» وصور إمتزاج الطرفين فيه بقوله سبحانه وتعالى :-  
﴿من لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (سورة البقرة ١٨٧) .

وركزه على عناصر : السكن والمودة والرحمة ، وجعله أساساً لتسلسل الذرية ، كما جعله الخلية الأولى التى تتكون منها الأسرة وتتفرع عنها الإنسانية «شعوباً وقبائل» تتعارف وتتعاون وتكون منها الأمة المثالية الفاضلة التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتحقق له معنى الخلافة

في الأرض التي خلق لأجلها وفضل بها على كثير من الخلق ، ومن هنا عنى الإسلام بجملة من الوسائل التي من شأنها اذا روعيت وحفوظ عليها كانت قوة في الحياة الزوجية وأهم هذه الوسائل :

### **التعرف :**

والإسلام يوصى بإختيار من له دين وخلق ، ويحذر من الاعتماد على مجرد الجمال أو الحسب أو المال .

### **الاختيار :**

هى خطوة الخطبة ، خطوة الاختيار عن طريق الحس ، مشاهدة واستماعا .

### **الرضا :**

لم تكتف الشريعة في وسائل تكوين الأسرة وبناء الحياة الزوجية على التعرف والاختيار السابقين ، وإنما أوجبت بعد ذلك تمام الرضا من الطرفين ، وجعلته شرطاً لصحة العقد .

### **المهر :**

فرضت الشريعة للزوجة منحه تقدير تحفظ عليها حياتها يتقدم بها الزوج معبراً عن تقديره إياها وعن رغبته في إتمام الزواج بها ، هذه المنحة تعرف باسم المهر . فإذا ما تمت هذه المقدمات فإن الإسلام يقرر بينهما الحقوق والواجبات والذي يرجع إليه في تقرير الحقوق والواجبات إنما هو «العرف» الذي تقضى به فطرة المرأة وفطرة الرجل ، وشأن ما بينهما من المشاركة والاجتماع .

وقرر الاسم على الرجل مسئولية الهيمنة والقوامه ، وجعله المكلف بحق المرأة فيما يصل بها الى الخير ، ويدفع بها عن الشر يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ . وقد بنى الاسلام المجتمعات في إداراتها وتنظيم شئونها - مع تعيين مصدر القوامه فيها على أساس من الشورى وتبادل الرأي ، يشاور الرئيس المرؤس ، والحاكم المحكوم ، ويكون العزم في الفصل على ما يتم عن طريق المشورة .

وقد طلب الإسلام من الزوج أن يحسن إلى زوجته ، وطلب من الزوجة أن تحسن إلى زوجها ، وإحسان العشرة من الزوج ليس خاصا بكفاية الزوجة من الطعام والشراب وصنوف الزينة ، كما أنه من الزوجة ليس خاصا - كذلك بإجابتها الزوج إذا دعاها ، إنما هو معنى ينبعث من قلب أحدهما إلى قلب صاحبه . .

ولم يقف الإسلام في حفظ الحياة الزوجية ، عند حد الأمر بالإحسان وإبراز مقتضياته من الزوجين ، وآثاره في الأسرة ، بل قدر أن النفوس البشرية عرضة للتقلب ، وأن لمظاهر الحياة ، أو إنحراف القلوب نزعات تحاول أن تغير من عواطف الحب والمودة والرحمة وتقطع ما يكون من صلات .

من هنا حذر القرآن مسامرة النزعة الطارئة ، وأرشد إلى محاربتها حتى لا تتمكن من قلب المرأة فتحملها على النشوز ، وقد أساء المتحضرون من أبناء المسلمين فهم التأديب ووصفوه بأنه علاج صحراوي جاف لا يتفق وطبيعة التحضر القاضى بتكريم الزوجة واعزازها .

إن الإسلام لم يكن لجيل خاص ولا لإقليم خاص ، وإنما هو إرشاد وتشريع لكل الأجيال وقد أبرز القرآن الصنف المهذب من النساء اللاتي يترفعن بخلقهن وتربيتهن وإيمانهن عن النزول إلى درك المستحقات

للهجر ، فضلاً عن درك المستحقات للضرب .

والواقع أن التأديب المادى أمر تدعو إليه الفطر ويقضى به نظام المجتمع ، وإذا كان مثار النشوز هو الزوج فقد أرشد القرآن الزوجة أن تعمل على كسب قلبه بوسائل الترضية المشروعة .

أما إذا اشتد الخلاف وتفاقم الأمر بين الزوجين فإن واجبهما ان يقف كل من الآخر على الحياد ، واللجوء إلى المجلس العائلى وهو الحل الوحيد ومن هنا كان الإصلاح بين الزوجين واجبا بوجه أخص على المسلمين ، وإذا ما نفذت الوسائل الاصلاحية كلها وعجز الزوج عن إصلاح زوجه أو عجزت الزوجة عن إصلاح زوجها ، وعجز الحكمان بعدهما عن اصلاحهما ، وتباعدت مسافة الخلف بين الزوجين كان الطلاق أفضل وهو أبغض الحلال عند الله .

والحق تبارك وتعالى يبين للناس موقف الإسلام من الأسرة فهى لبنة من لبنات الأمة التى تتكون من مجموعة أسر ، يرتبط بعضها ببعض ومن الطبيعى أن البناء المكون من لبنات يأخذ ما لهذه اللبنة من قوة أو ضعف ، فكلما كانت اللبنة قوية ذات تماسك كانت الأمة المكونة منها كذلك ، قوية ذات تماسك ومناعة وكلما كانت اللبنة ذات ضعف وانحلال ، كانت الأمة كذلك ذات ضعف وانحلال ومن هنا كانت العناية بتقوية الأسرة من أهم ما يجب على المصلحين رعايته وأخذ الطريق إليه ولا يكون ذلك إلا بتوخى المبادئ القوية التى يشاد عليها صرح الأسرة وتضمن بقاءها ونموها ، قوية مثمرة ، مؤثرة فى كيان الأمة .

يقول سبحانه وتعالى :-

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات ١٣) .



﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم ٢١) .

﴿وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدان إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً﴾ (النساء ٣٥) .  
ويقول تعالى : -

﴿والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ (النساء ٣٤) .  
ويدور المبحث الثانى حول نظام الاسرة والموارث يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتن ألا تعدلوا﴾ (سورة النساء ٣) .

### تعدد الزوجات :

احدى المسائل التى كان لصوت الغرب المتعصب ، ودعايته المسمومة أثر فى توجيه الأفكار إلى نقدها ، حتى حاول فريق من أبناء المسلمين فى فترات متعاقبة - ولا يزالون يحاولون - وضع تشريع لها يقيد من إطلاقها بما يقيد به الله .

وقد وقعت هذه المسألة بين نصى تشريعى ، وحالات اجتماعية وقد تجاذبت كلا منهما الافهام والتقديرات .

ويدور بين الحين والحين كلام كثير ، بل حملات مدبرة ، حول تعدد الزوجات وأضراره الاجتماعية ، ولم يقف الامر عند الكلام ، بل قامت حركات تطالب الحكومات بمنع التعدد أو تقيده .

ولعلنا عندئذ نعرف ونعترف - كما عرف واعترف كتاب الافرنج

أنفسهم - أن منع تعدد الزوجات له دخل كبير في ارتفاع نسبة اللقطاء والمؤودين ، وقد أدركوا ذلك وخطب به خطبائهم ، ونادى به مصلحوهم في أوائل هذا القرن ، وذلك في المؤتمر الذى عقدته الحكومة الفرنسية سنة ١٩٠١م للبحث عن خير الطرق في مقاومة انتشار الفسق .

وهكذا فالإسلام لم يكن في شرع تعدد الزوجات ، ولا في شرع أصل الزواج مبتكراً لشيء لم يكن معروفاً من قبل ، وهذا شأنه في كثير من وجوه المعاملات والارتباطات البشرية التى تقتضى بها طبيعة الاجتماع ، وإنما كان مقرراً ما تقتضيه الطبيعة من ذلك معدلاً فيها بما يرى من جهات التهذيب التى تكفل للطبيعة الوقوف في الحد الوسط ، وتقيها شر الانحراف والميل وتحفظ للاجتماع خير مقتضيات هذه الطبيعة .

### ومن تعدد الزوجات الى تنظيم النسل :-

ولما كان تحديد النسل بمعناه المعروف : وهو الوقوف بنسل الأمة عند عدد معين لا تقصده أمة تريد البقاء خصوصاً في هذا العصر - عصر التنافس بين الأمم في الكثرة والقوة - كان لابد أن يراد به ما يلتقى مع معنى التنظيم الذى لا يأبى الكثرة ولا يقتضى الوقوف بالنسل عند حد معين .

وكبداية للموضوع نقول أن الشريعة الإسلامية جعلت الولد حقاً مشتركاً بين الوالدين وبين الأمة يعمل على تنميته وتهذيبه ثم يقدمه للأمة فيفيده ويفيد الأمة وقاعدة الشركة العادلة ألا يطغى على الوالد أن يحضه بالوسائل المشروعة وأن أحد الشريكين بحقه على حق صاحبه .

والشريعة الإسلامية حثت على مبادئ القوة والعزة وكثرة الأيدي العاملة ، وتقويم الأمة ورفيها ، وهذه غايات لا يمكن الحصول عليها

إلا بكثرة النسل ولكن ليس معنى هذا أن نطلق الحرية للإنجاب حتى ولو أدت إلى الأضرار. وتلتقى الشريعة والطب في هذه الناحية فهما يلتقيان في وجوب دفع الضرر الذى يلحق الزوجة أو الأمة من جراء إطلاق الحرية في تحصيل النسل وكثرته .

فكما أن الطب لا يقر حملاً فيه إضرار بالمرأة أو بالنسل وتوافقه الشريعة في هذا ، فالشريعة أيضاً لا يروقها كثرة هزيلة ، ولا تقيم لإرتفاع نسبتها في التعداد وزناً ، ولا يتخذ منها النبى الكريم مبعثاً للمباهاة بها ، بل بالعكس تمقت الشريعة هذه الكثرة وتحقرها .

### المرأة فى ظل الإسلام :-

وكانت المرأة في نظر الإسلام موضوع فصل من فصول الكتاب ، فقد عرض القرآن الكريم لكثير من شئون المرأة في أكثر من عشر سور، منها سورتان عرفت احدهما بسورة النساء الكبرى ، وعرفت الأخرى بسورة النساء الصغرى وهما : سورتا النساء والطلاق . وقد دلت هذه العناية على المكانة التى ينبغى أن توضع فيها المرأة في نظر الإسلام وأنها مكانة لم تحظ المرأة بمثلها في شرع سواى سابق ، ولا في اجتماع إنسانى تواضع عليه الناس فيما بينهم .

والحق أن الإسلام منح المرأة كل خير ، وصانها عن كل شر ، ولم يأب عليها سوى ما دفعها إليه هذه المدنية الكاذبة من حرية جعلت المرأة الغربية إذا ما خلعت إلى ضميرها الانسانى ، تبكى دماً على الكرامة المفقودة والعرض المبتذل والسعادة الضائعة . وستعلم المرأة متى ثابت إلى رشدنا ، إنه لا منفذ لها ولا حافظ لكرامتها وحقوقها ، سوى هذه التعاليم الإلهية التى يحاول خصوم الدين والسائرون في طريقهم من أبناء

المسلمين ، أن يصوروه بصورة الاغلال التى تطوق الأعناق وتحول بينها وبين مالها من حق فى الحياة .

وقد جعل القرآن المرأة شريكة للرجل ، وعندما خصص الأم بنوع من العناية جاء منظما لما تقتضيه فطرة الخلق والتكوين ، وما تقتضيه عاطفة الحنو والشفقة التى أودعها الله فى قلب المرأة لولدها وما احتملت هى من أجله . والمرأة فى القرآن ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل مسئولة عن نفسها وعن عبادتها وعن بيتها وعن جماعتها . وليس من الإسلام أن تلقى المرأة حظها من تلك المسئولية على الرجل وحده بحجة انه أقدر منها عليه أو أنها ذات طابع لا يسمح لها بأن تقوم بهذا الواجب ، فاللرجل دائرته وللمرأة دائرتها والحياة لا تستقيم إلا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهما .

وقرر الإسلام احترام رأى المرأة فيما تبدو وجاهته ، شأنه فى رأى الرجل تماما سواء بسواء . وليس من شك فى أن تحميلها المسئوليات ، يجعل لها أو عليها الحق فى أن تتعلم كل ما يمكنها من القيام بهذه المسئولية على الوجه الذى حددت به ، وطلبت منها عليه وهو تحرى الخير والصلاح ، والبعد عن الشر والفساد .

وقد منحت الحق أيضا من إبداء الرأى فى مباشرة عقد زواجها . وكل ذلك أثر لانسانيتها المساوية لإنسانية الرجل وقد ظهر ذلك فى كثير من نواحي التشريع الإسلامى .

وكانت قواعد الميراث فى الإسلام تمثل فصلا من فصول الكتاب

وهى :-

**أولا ، علاقتى القرابة والزوجية .**

**ثانيا : إلغاء صفات الذكورة والأنوثة ، والصغر والكبر فى أصل**

الاستحقاق ، فكان للصغير والكبير والذكر والانثى حق فى الميراث .

ثالثا : الآباء والأبناء لا يسقطون فى أصل الاستحقاق بحال ما .

رابعا : إرث للإخوة والأخوات مع وجود الأبوين وإن كانوا ينزلون بنصيب الأم من الثلث إلى السدس .

خامسا : أنه متى اجتمع فى الوارثين ذكور وإناث أخذ الذكر ضعف الأنثى يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنْثَىٰ فَإِنَّ كُنَ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء - ١١) .

ومن بين ما تناولته الشريعة الإسلامية الأموال والمبادلات نظمها ووجهتها فى باب يسمى «الأحوال الشخصية» قررت الميراث وهو مبدأ إسلامى يعمل على توزيع الثروات والربط بين الأقارب بعضهم ببعض ، وبين الأجيال سابقها ولاحقها ، وقد بنت الشريعة هذا الميراث على قواعد غاية فى العدل والحكمة ، وتولى الحق تبارك وتعالى فى كتابه الكريم تنظيم أنصبتها وتوزيعها بنفسه ، والمتبع لتعاليم الإسلام فى قرآنه وسنة رسوله يخرج بنتيجة واضحة هى أنه دين حياة فلا عجب أن يكون للمال فى النظام الإسلامى قيمة كبيرة ومكان مرموق .

وقد أمر الإسلام بتحصيل المال عن طريق التجارة والصناعة والزراعة .

والإسلام حينما طلب تحصيل الأموال بهذه الطرق نظر إلى أن حاجة المجتمع المادية تتوقف عليها كلها وأن يعمل على تنسيقها بحيث لا تترك

الأموال تتكسد في تركيز عنصر واحد منها دون سواه . وقد عني القرآن الكريم عناية فائقة بالحث على البذل للفقراء والمساكين ، وفي سبيل الله ، كما أن الإسلام حارب الشح والإسراف والترف عند أصحاب المال تحقيقاً لانتفاع الجميع بالأموال ، وتطهيراً للنفوس من بواعث الأثرة .

وكما اتجه الإسلام بهذه الارشادات إلى الأفراد تحذيراً لهم من آفتى الشح والتبذير جعل من حق ولى الأمر أن يأخذ منهم بطريق القهر والقوة ما وضعه الله في أموالهم من حقوق الأفراد والجماعة .

وقد عرضت شريعة الإسلام لجانب آخر من الجوانب التي تتعلق بشئون الأموال ، وهو المبادلات المالية وعمدتها الارتباط بالالتزامات ، والوفاء بالحقوق ، والواقع أن للإنسان في الحياة جانبين : جانباً مادياً أساسه المعاملات ، وجانباً روحياً أساسه العبادات وفي الجانب المادى متسع للشهوات ، لذلك حذر الإسلام من الفسق في المعاملة ، ووضح آثاره الضارة في المجتمع ، ومن هنا يجدر بالموظف والكاتب والموجه والمعلم أن يأخذوا لأنفسهم من تخصيص الكيل والميزان - وقرنها بعبادة الله ، واعتبار انتقاصهما إفساداً في الأرض ، كما أن الإسلام يحرم استغلال حاجة المحتاج فذلك هو أساس الربا الذي حرمه الله ورسوله .

ونمضى مع مباحث كتابنا الشيق إلى أن نصل الى جانب من جوانبه الهامه وهى العقوبات ، ومسلك الشريعة وهدفها في تقريرها سلكت الشريعة في تقرير العقوبة الدنيوية مسلكين بارزين :

## المسلك الأول.. العقوبة النصية :-

نص القرآن والسنة على عقوبات محددة لجرائم معينة هى من عموم الجرائم بمنزلة الأمهات نظراً إلى دلالتها على تأصل الشر في نفس الجاني ،

وإلى شدة ضررها فى المجتمع وإلى حرمة ما وقعت عليه فى الفطر البشرية ،  
وهى الجرائم الآتية :

١- عقوبة الاعتداء على الدين بالردة يكون بإنكار ما علم من الدين بالضرورة أو ارتكاب ما يدل على الاستخفاف والتكذيب والعقاب الدنيوى لهذه الجناية هو القتل .

٢- عقوبة الاعتداء على الأعراس بالزنا أو القذف .

٣- عقوبة الاعتداء على الأموال بالسرقه أو على الأمن العام بالمحاربة والإفساد فى الأرض ، وقد جاء فى السرقه قوله تعالى :

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾ . (المائدة : ٣٨) .

٤- عقوبة الاعتداء على العقل بشرب المسكر لم يرد لهذه الجناية عقوبة دنيوية فى القرآن الكريم ، وإنما جاء قوله تعالى :

﴿يأياها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (سورة المائدة : ٩٠) .

٥- عقوبة الاعتداء على النفس بالقتل أو بما دونه من القطع أو الجرح .

### أما المسلك الثانى فهو العقوبة التعويضية :

سلكت الشريعة طريقا بالنسبة للجرائم التى لم تنص عليها ، وهى طريقة التفويض لولى الأمر فى أن يعاقب على الجنايات بعقوبة يراها رادعة ، وهذا هو المعروف عند الفقهاء بإسم (التعزير) ويكون فى الجرائم التى لم تحدد لها الشريعة عقوبة معينة ، وفى الجرائم التى حددت لها عقوبات ، ولكنها لم تتوافر فيها شروط تنفيذ هذه العقوبة .

لهذا لم يقف الإسلام عند حد العقوبة الأخروية بل وضع عقوبات دنيوية لتكون سيفاً مسلطاً على رؤوس من تضعف عقيدتهم في هذا الترهيب الأخروي .

## وأما عن سبل الوقاية من الإجرام :-

**أولاً :** العمل على تهيئة الإنسان ليكون عضو خير وإنتاج في سعادة الجماعة الإنسانية ، فكلّف الناس جميعاً بالعمل ، وأرشدهم إلى التجارة والصناعة والزراعة وحذر من البطالة وإهمال النفس في هذه الحياة .

**أما السبيل الثاني :** فهو أن ضمن للإنسان فوق حياته المادية بالعمل حياة أخرى نفسية سعيدة ، ترجع إلى كفالة حقوقه الشخصية والاجتماعية بتقرير العدل في أدق صوره وتقرير التواصي بالخير والتناهي عن الشر .

ومن العقوبات انتقل إلى الجرائم ، وأهمها جريمة القتل في الإسلام والشرائع الأخرى .

ترى معظم الشرائع أن يكون القتل عقوبة للقتل ، وتميل على وجه عام في شأن تنفيذها ، أما إلى جانب الإفراط ، وإلى جانب التفريط .

وقد جاء الإسلام وهو أحد الأديان السماوية ليهذب الشعور ويسمو بالوجدان ويرتقى بالإنسان إلى عالم الكمال على أنه الدين العام للناس جميعاً فاتخذ الحد الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في كل شيء في عقائده وأخلاقه وشرائعه فردية كانت أم اجتماعية وقال تعالى :-

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ، لتكونوا شهداء على الناس﴾  
(البقرة : ١٤٣) .

وكان من مقتضيات هذا الوضع الذي جاء عليه الإسلام ، أن



توخى فى عقوبة القتل أصولاً بعدت بتلك العقوبة فى جميع نواحيها عن طرفى الإفراط والتفريط اللذين صاحبها فى عامة أدوارها ، بل فى كل نظر يخالف ما يقتضيه الحد الوسط الذى لا إسراف فيه ولا تقصير ومع أن الإسلام أقر القصاص عقوبة لجريمة القتل ، لم ير أنه واجب متعين لأبد منه بل خير بينه وبين العفو .

وقد قرر الإسلام التكافؤ بين الناس جميعاً فى الدماء ، ولم يجعل لدم أحد فضلاً على دم آخر ، وقرر الإسلام أن مسئولية الجماعة لا يتحملها غير الجانى .

وجعل الإسلام حق المطالبة بالدم ، وحق العفو لولى المجنى عليه ولم يجعل لولى الأمر حقاً فى العفو ، إذا ما تمسك ولى الدم بالقصاص .

حكم القرآن والسنة فى القتل والقصاص : الاعتداء على النفس قد يكون بالقتل وقد يكون بما دونه من قطع أو جرح ، وعلى كل إما أن تكمل فيه معانى الجناية فيجب القصاص أو لا تكمل فلا يجب .

وقد ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كثير من نصوص النهى عن القتل ، ونص القرآن على أن هناك عقوبة أخروية للقتل وهى جهنم يقول سبحانه وتعالى : ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه . وأعد له عذاباً عظيماً﴾ .

(النساء : ٩٣)

وقتل الإنسان نفسه ليس إلا نوعاً من قتل النفس التى حرمها الله ، كما نهى القرآن عن قتل النفس المعاهدة لأنها فى العصمة عند الله كالنفس المؤمنة سواء بسواء .

وفرد الكتاب باباً عن المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية ، حدد فيه معنى المسئولية المدنية ، أنواع التعويض ، ثم

الأصل الشرعى للمسئولية المدنية وما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية بشأنها ، ثم ينتقل إلى رأى الفقهاء بالنسبة لمبدأ «تعويض الضرر» أخذاً من النصوص الشرعية المتقدمة ، واعمالاً للقواعد المتفق عليها ، فإنهم اختلفوا فى مدى تطبيق هذا المبدأ اختلافاً واسع الشقة فمنهم من توسع فيه إلى أقصى حد ممكن ، ومنهم من ضيق فيه إلى أقصى حد ممكن .

ثم قسم أسباب المسئولية المدنية إلى :-

( أ ) المسئولية الناشئة عن مخالفة العقد .

( ب ) المسئولية الناشئة عن الاستيلاء القهرى .

( ج ) المسئولية الناشئة عن مباشرة الاتلاف .

( د ) المسئولية الناشئة عن التسبب فى الاتلاف .

( هـ ) المسئولية الناشئة عن التقصير فيما يجب .

ومن أسباب المسئولية المدنية انتقل إلى المسئولية عن فعل الغير ،

وتأثير عوارض الأهلية فى المسئولية وقسمها إلى :-

( أ ) تأثير عارض الصغر والجنون .

( ب ) تأثير عارض الإكراه .

ثم انتقل إلى أوجه تحمل المسئولية عن الفاعل ، والأصل فى

المسئولية أن تتعلق بمن باشر الاتلاف أو تسبب فيه ، ولكن توجد أحوال

يتحمل فيها تبعة المسئولية غير المباشر وغير المتسبب وهى :-

( أ ) أن يكون الفاعل ممن نصب لمصلحة الناس .

( ب ) أن يكون الفاعل باشر الفعل بأمر غيره .

( ج ) الإكراه .

ومن المسئولية المدنية إلى المسئولية الجنائية والجناية على النفس تكون

بالقتل أو إتلاف عضو منها ، وعلى المال تكون بالسرقة ، وعلى العرض

تكون بالقذف ، وعلى النسب تكون بالزنا ، وعلى العقل تكون بشرب المسكر ، وعلى الدين تكون بالردة ، وعلى النظام العام تكون بقطع الطريق والإفساد في الأرض .

هذه هي الجرائم التي نصت عليها الشريعة وحددت لها متى تكاملت في معناها عقابا خاصا ورأت أنها إذا لم تكامل في معناها تكون عقوبتها من باب التعزير كغيرها من سائر الجرائم التي لم تنص عليها الشريعة والتعزير عقوبة .

وبتين لنا ان الشريعة الإسلامية لا تشترط في «المسئولية الجنائية» النص على الجريمة أو العقاب وهذا وضع يتفق تمام الاتفاق مع صلاحيتها للتطبيق في كل العصور والأحوال وليس من شك في أن الناس يتطورون في تقدم الحياة وإبتكار وسائل الخير وصوره ، فليس من الحكمة مع هذا التشريع الذي جاء للخلود أو ينص على جرائم وعقوبات بأعيانها ثم يقول : «لا جريمة إلا بنص» «ولا عقوبة إلا بنص» .

والجرائم التي نصت عليها الشريعة منها ما هو اعتداء على حق الله ، ومنها ما هو اعتداء على حق العبد ، فالأول جرائم الزنا والقذف والسكر والتعدي على الدين وقطع الطريق .

والثاني جريمة التعدي على النفس وقد أمرت الشريعة في جميعها بالاحتياط في توقيع عقوباتها فقد ثبت أن رسول الله - ﷺ - قال : «ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة» وقال ﷺ : «ادروا الحدود بالشبهات ادفعوا القتل عن المسلمين ما استطعتم» .

هذه صورة مصغرة لأصول عامة في الشريعة الإسلامية عن المسئوليتين المدنية الجنائية مع التأكيد بأن الشريعة الإسلامية لم تقيّد

الفقهاء بعد أصولها الكلية بخطة معينة في البحث وإنما فوضت لهم الرأى والاعتماد فيه على ما يقدرون من مصالح وحقوق ووجبات في العصور المختلفة والبلدان المتباينة ، وهكذا نشأ الفقه الإسلامى ، وهكذا اتسع ، وهكذا يسائر الإنتاج العقلى الصحيح ومقتضيات المدنية مهما تقدمت وارتقت بها الحياة .

ويحدثنا الكتاب عن أسس الدولة فى الإسلام ، فقد نظر الإسلام إلى المسلمين باعتبارهم أمة يتكون منهم ما عرف فى اصطلاح الناس بعد بإسم «الدولة» فاعتبر فيهم مزايا ومقومات هى سر العظمة والمجد والقوة التى كانت طابع الدولة الإسلامية ، وأهم هذه المقومات أربعة .

١- الأخوة الدينية : وهى أصدق تعبير عن الوحدة المشتركة قررها القرآن الكريم :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وفرض الرسول - ﷺ - «المسلم أخو المسلم» وقد غلبت إخوة الإيذان كل صلة سواها حتى صلة النسب .

٢- التكافل الاجتماعى : وهو لازم من لوازم الإخوة ، بل هو أبرز لوازمها وهو شعور الجميع بمسئولية بعضهم عن بعض ، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ، ومحمول على أخيه يسأل عن نفسه ويسأل عن غيره .

٣- الشورى : وهى أساس الحكم الصالح وهى السبيل إلى تبين الحق ومعرفة الآراء الناضجة أمر بها القرآن ، وجعلها عنصرا من العناصر التى تقوم عليها الدول الإسلامية .

٤- العدل : وهو أهم الدعائم التى يسعى إليها البشر حتى يطمئن الناس على حقوقهم ، ويستقر العدل فيما بينهم ، فليس أبعث للشقاء والفتن ، وأنقى للهدوء والاطمئنان بين الافراد والجماعات من

سلب الحقوق ، واغتتيال الأقوياء حقوق الضعفاء .

يقول الحق تبارك وتعالى :-

﴿ولا يجزمنكم شتان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾  
(المائدة : ٨)

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (النحل : ٩٠) .

﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ (الأنعام : ١٥٢) .

ومن أسس الدولة في الإسلام كان الحديث عن العلاقات الدولية ،  
فقد كانت الغرائز الحيوانية والطباع الوحشية قبيل الدعوة الإسلامية هي  
صاحبة السلطان والسيطرة .

ووسط جو قاتم ذيل فيه الروح الإنساني بزغت شمس الإسلام  
وانبعثت نورها على الإنسان من أفق الحياة العليا فأيقظ روحه ، وأرشده  
إلى الخير والهدى . . والاتجاه لرب واحد هو الخالق الأعظم يقول سبحانه  
وتعالى :

﴿يأياها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها  
زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به  
والأرحام﴾ (سورة النساء الآية الأولى) .

ومن مبادئ الإسلام السلم وهو العلاقة الأصلية بين أبنائه لا يخرج  
عن هذا الوضع الطبيعي إلا إذا امتدت إليه يد العدوان ووضعت أمامه  
العراقيل .

وهنا فقط يؤذن لأهله أن يردوا العدوان اقراراً للسلم ، وإقامة  
للقسط ، والإسلام لا يبيح حرب التنكيل أو التخريب ولا يبيح الدخول  
فيها إلا بعد إعلان العدو في مدة تفي لوصول خبرها إليه ، ولا يبيح  
إساءة معاملة الأسرى والتنكيل بهم والإسلام يجعل للمسلمين الحق في أن

ينشئوا ماشاءوا من المعاهدات بينهم وبين غيرهم إبقاء على السلم أو رجوعا إليه .

ويتهى الكتاب بالقسم الثالث والأخير والذي تناول مصادر الشريعة الإسلامية ، فإذا كان مصدر العقيدة في الإسلام هو القرآن الكريم المصدر الوحيد الصريح الحاسم في معناه ، الذي لا يحتمل سواء ، فإن مصدر الشريعة أوسع نطاقا فهي تؤخذ .

**أولا :** من القرآن الكريم نصه ومحتمله .

**ثانيا :** من السنة المطهرة ، وهى أقوال الرسول وأفعاله وتقريراته التشريعية بشرط صحة نقلها عنه . ﷺ .

**ثالثا :** من رأى عن طريق النظر في محتمل القرآن والسنة وفي إلحاق ما لم ينص على حكمه بما نص في حكمه وفي تطبيق القواعد الكلية المأخوذة من جزئيات التشريع القرآنى على الحوادث المعروضة ومن هنا يتبين أن مصادر التشريع في الإسلام ثلاثة : القرآن والسنة والرأى .

**وبعد :**

فلعلك استمتعت معى - عزيزى القارىء - بهذه الجولة فى رحاب مبحث إسلامى يعتبر من ذخائر المكتبة الإسلامية .



**حقائق الإسلام وأباطيل خصومة**

---





مما لاشك فيه أن كتاب حقائق الإسلام وأباطيل خصومه أحد المؤلفات التي تزخر بها المكتبة الإسلامية ... فهو لقيمة مفكرى العروبة والإسلام فى القرن العشرين الأستاذ/ عباس محمود العقاد ، بين دفتيه حقائق إسلامية هامة ... وآراء لكاتب عملاق تدحض بلا ريب أباطيل الخصوم ... خصوم الإسلام والمسلمين على مر الأيام والعصور .

ولعلك أخى القارىء تتعجب كيف أستطيع أن أرسم معالم إحدى مؤلفات الأستاذ العقاد فى تلك العجالة القصيرة ... وكل لمحة من فكره لا بد أن يقف القارىء أمامها يفحصها كى يقترب من المعنى الذى يقصده .

كنت أمام هذا وذاك ... لكنى حاولت جهد طاقتى أن أعرض لك ذلك الكتاب بتوجيه سؤالين متشابهين أو سؤال واحد فى صورتين مختلفتين :

\* هل للدين حقيقة قائمة ؟

\* هل للدين ضرورة لازمة ؟.

ثم يستطرد إلى أن أكبر الشبهات التى تعترض عقول المتشككين والمنكرين شبهتان هما : شبهة الشر فى العالم وخلاصتها أننا لا نستطيع التوفيق بين وجود الشر فى العالم ، وبين الإيمان بإله قدير كامل فى جميع الصفات .

وشبهة الخرافة وخلاصتها أننا لا نستطيع التوفيق بين العقائد

والمحسوسات والمعقولات التي تنكشف عنها معارف البشر ، كلما تقدموا في معارج الرقى والادراك .

ونمضى مع المؤلف في التعريف بشبهة الشر ، وشبهة الخرافة ذاكراً أنهما من أقدم الشبهات التي واجهت عقل الانسان منذ أن عرف كيف يفرق بين الخير والشر ، وتمثيله الخير بأنه إله النور ، والشر بإله الظلام ، وإيمانه بهذين الإلهين رغم تعارض ذلك مع عقول المؤمنين بالتوحيد .

وحينما تقدم الإنسان قليلاً إقترح كحل لشبهة الشر أنها وهم لا نصيب له من الحقيقة ، وأنه عرض زائل يتبعه الخير الدائم .

ومن الواضح أن هذا الحل لم يضع نهاية للمشكلة عند هذا الحد برز حل التكافل بين أجزاء الوجود .

وخلاصة حل التكافل بين أجزاء الوجود أن المعتقدين به يرون أن الشر لا يناقض الخير في جوهره ، ولكنه جزء متمم له ، أو شرط لازم لتحقيقه ، وهو يعتبر أوفى ، وأقرب إلى الاقتناع من جميع الحلول .

ويتهى المؤلف إلى أن وجود الشر في العالم لا يناقض صفة الكمال الإلهي ، ولا صفة القدرة الإلهية ، بل هو أقرب إلى التصور من تلك الفروض التي يتخيلها المنكرون والمترددون .

وليس الشر مشكلة كونية ، ولا عقلية ، ولكنه مشكلة الهوى الانساني الذي يرفض الألم ويتمنى أن يكون شعوره بالسرور غالباً على طبائع الأمور .

وهذا الشعور الإنساني يتطلب الدين ... وهل ثمة مانع يمنعه من قبل العقل أو من قبل المعرفة التي يكتسبها من تقدمه في العلم والحضارة .

وهنا يستطرد الأستاذ في الكلام عن مشكلة التدين فعند المترددين ،

والمعتلين أن الأديان قد اختطت قديماً بكثير من الخرافات ، وأن العقل يتعسر عليه أحياناً أن يوفق بين عقائد الدين ، وحقائق المعرفة العلمية .

وأيضاً يسهب المؤلف في الكلام عن شبهة الخرافة سائلاً المترددين والمعتلين إذا كان التدين على هذه الحالة التي وجد بها غير حسن في تقديره ... فكيف يكون الحسن ؟ ... وكيف يتصورونه ممكناً على نحو أقرب إلى العقل ، وأيسر في الإمكان ؟ .

ثم ينتهي كاتبنا إلى الحديث عن شمول العقيدة الإسلامية والمزايا التي امتازت بها عقائد الإسلام ، وأحكامه ، وما يوحى به الإسلام إلى المسلم عقيدة في الذات الإلهية وعقيدة في الهدايا النبوية ، وعقيدة في الإنسان لا تعلوها عقيدة في الديانات ، ولا في الحكمة النظرية أو الحكمة العلمية .

كذلك أن أحكام الإسلام لا تعوق المسلم عن غاية تفتحها أمامه أشواط العلم والحضارة .

وأخيراً ففي الإسلام زاد للأمم الإنسانية في طريق المستقبل الطويل يواتيها بما فيه غنى لها حيث نضبت الأزواد من وطاب العقائد الروحية أو تكاد .

وتقف بنا المقدمة عند هذا الحد لنستقبل الفصل الأول من الكتب الذي قسم إلى عدة موضوعات في العقيدة الإلهية ... ثم النبوة ... فالإنسان ... فالشيطان ... وأخيراً للعبادات .



ولنقف سويّاً عند كل موضوع على حدة ... ففي العقيدة الإلهية يقول المؤلف «العقيدة الإلهية رأس العقائد الدينية بجملتها وتفصيلها» .

ولقد كان النظر في صفات الله مجال التنافس بين أكبر العقول من

أصحاب الفلسفة الفكرية ، وأصحاب الحكمة الدينية ... إلى أن جاء الإسلام من جرف الصحراء العربية بأسمى عقيدة في الإله الواحد الأحد صححت فكرة الفلسفة النظرية ، كما صححت فكرة العقائد الدينية فكان تصحيحه لكل من هاتين الفكرتين - في جانب النقض منها - أعظم المعجزات التي أثبتت له في حكم العقل المنصف والبديهة الصادقة أنه وحى من عند الله - ولن أخوض فيما خاضه المؤلف من أقوال أرسطو وأفلاطون في الأدلة ... غير أنني أنقل بعض الفقرات التي جاءت رداً على آراء هؤلاء الفلاسفة يقول :

ومن صفات الله في الإسلام ما يعتبر رداً على فكرة الله في الفلسفة الأرسطية كما يعتبر رداً على أصحاب التأويل في الأديان الكتابية ، وغير الكتابية .

فالله عند أرسطو يعقل ذاته ولا يعقل ما دونها ويتنزه عن الإرادة لأن الإرادة طلب في رأيه .

والله كما لا يطلب شيئاً غير ذاته ، ويجل عن علم الكليات والجزئيات لأنه يحسبها من علم العقول البشرية ، ولا يعنى بالخلق رحمة ولا قوة ... لأن الخلق أحرى أن يطلب الكمال بالسعى إليه ... لكن الله في الإسلام عالم الغيب والشهادة ﴿ لا يعزب عنه مثقال ذرة ﴾ ﴿ وهو بكل خلق عليم ﴾ .

﴿ وما كنا عن الخلق غافلين ﴾ ﴿ وسع ربنا كل شيء علماً ﴾ .

﴿ لا إله الا الله الخلق والأمر ﴾ ﴿ عليم بذات الصدور ﴾ .

ولا يمكن أن تغفل المقارنات المنطقية التي أوردها المؤلف بين الإسلام والديانات الأخرى والتي انتهت بنا إلى أن الإسلام جاء بالدعوة إلى إله منزّه عن لوثة الشرك ، منزّه عن جهالة العصبية ، وسلالة النسب

منزه عن التشبيه الذى تسرب من بقايا الوثنية إلى الأديان الكتابية .  
 فالله الذى يؤمن به المسلمون إله واحد لم يكن له شركاء . ﴿سبحانه  
 عما يشركون﴾ ... وما هو برب قبيلة ولا سلاله يؤثرها على سواها بغير  
 مآثرة ، ولكنه هو (رب العالمين) خلق الناس جميعاً ليتعارفوا ويتفاضلوا  
 بالتقوى ... فلا فضل بينهم لعربى على أعجمى ، ولا لقرشى على  
 حبشى إلا بالتقوى . ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ،  
 وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾ .

\*\*\*\*

وهكذا كانت العقيدة الإلهية في الإسلام مصححة متممة لكل  
 عقيدة سبقتها في مذاهب الديانات أو مذاهب الفلسفة ومباحث  
 الربوبية .

ومن العقيدة الإلهية ينقلنا المؤلف إلى مبحث آخر هو النبوة .  
 (نمت نبوة الإسلام نمائها الأوفى حين خلصت من دعوى الخوارق  
 والمغيبات ، وهى آية النبوة الكبرى في عرف الأقدمين .  
 ولم تكن براءة النبوة من هذه الشوائب عرضاً مسوقاً في أطواء  
 العقيدة بغير قصد ولا بينة ، بل كان وصف النبوة على هذه الصفة  
 المطهرة فريضة مكتوبة على المسلم يعلمها من نصوص كتابه ، ويؤمن بها  
 إيمانه برسالة نبيه ، فما النبوة بقول ساحر ، ولا يفلح الساحرون ، وما  
 النبي بكاهن ولا مجنون .

بهذه الفكرة الرشيدة عن النبوة يفرق الإسلام بين طريقتين شاسعتين  
 في تاريخ الأديان ، طريق موعلة في القدم تتحدر إلى مهد النبوات  
 الوثنية ... حيث تشتبك العبادة بالسحر والكهانة ... ثم تتقدم في

خطوات وثيدة يلتقى فيها الخبل واليقظة وتختلط فيها الخرافة بالإلهام الصادق والموعظة الحسنة .

وطريق تليها موعلة في المستقبل يفتحها صاحب النبوة الأخيرة فيعلن أنه يفند السحر والكهانة ويزرى بقداسة الجنون ، أو جنون القداسة ، ويروض بصيرة الإنسان على قبول الهدايا ، وإن لم تروضها له روعة الخوارق ، ودهشة الغيب المجهول ، لأنه يروض البصيرة الإنسانية على أن تنظر وتبصر ، ولا يستوى الأعمى والبصير .

ومن تأمل هذا الفارق بين الطريقتين الشاسعتين في تاريخ الأديان ، لا جرم يطيل التأمل فلا يرى عجباً أن تكون هذه النبوة خاتم النبوات . وبين السطور يؤكد لنا المؤلف أن النبوة الإسلامية جاءت مصححة متممة لكل ما تقدمها من فكرة عن النبوة كما كانت عقيدة الإسلام الإلهية مصححة متممة لكل ما تقدمها من عقائد بنى الإنسان في الإله . ويتتهى موضوع النبوة بتساءل وإجابة .

\* كيف تسنى لبنى الإسلام أن ينفرد بهذه الدعوة وحيدا في تاريخ الأديان؟

الإرادة الإلهية هي الجواب الذى لا معدى عنه لمن يسأل ذلك السؤال : ومن آمن بالله فلا معدى له عن إرادة الله في تفسير هذه الظاهرة التى لا نظير لها في أديان الكتابيين وغير الكتابيين ، نعم لا معدى له عن إرادة الله ولا وصف الرسول بما شاء من نفاذ البصيرة وسمو الضمير .

وينتقل المؤلف إلى موضوع الإنسان ، وتعريفاته فله - أى الإنسان - تعريفات كثيرة تحيطه سواء من جانب مزاياه العقلية أو علاقاته الاجتماعية ، أو بالنظر إلى ترتيبه بين أنواع الأحياء على حسب مذهب التطور .

أما تعريف الإنسان بما وصف به القرآن الكريم ، وأحاديث النبي - ﷺ - فقد اجتمع جملة واحدة في تعريفين جامعين :

**أولاً :** الإنسان مخلوق مكلف . ذلك جماع ما يوصف به الإنسان تمييزاً من العجماوات وتمييزاً من الأرواح العلوية على السواء ولهذا كان في أحسن تقويم ... ولهذا يرتد إلى أسفل سافلين . وقوام التقويم الحسن ... الإيمان وعمل الصالحات ... وسبيل الارتداد إلى أسفل السافلين مطاوعة الهوى ، والغرور والشرف وطغيان القوة والغنى ، ومنع الخير والهلل من البلاء والعجلة من الضعف والاغراء .

**ثانياً :** مخلوق على صورة الخالق ، مخلوق تهبط به أمانة التكليف إلى أسفل سافلين ، وترفع به إلى أعلى عليين .

«ذلك هو الإنسان في عقيدة النبي الصادق الأمين ... نبي يدعو إلى رب العالمين» ... بهذه العبارة ينهى المؤلف حديثه عن الإنسان ، ليبدأ حديثاً آخر عن الشيطان يقول :

«إن معرفة الانسان للشيطان كانت فاتحة خير، لأنه لم يعرف الشيطان إلا بعد أن عرف الخير، والشر، وعرف الفرق بين الشر والضرر، فعرف أن الشر لا يجوز، وكان كل ما يعرفه منه لا يسر، ولا يوافق مآربه وشهوته، وعرف أن مخافة المآرب والشهوات لا تكون شراً على الدوام، بل هي خير في كثير من الأحيان، ومن ثم عرف كيف يكبح مآربه وشهوته وهو راضٍ مطمئن لأنه يعلم أنه عامل للخير مستقيم على نهج الصلاح» .

ويستطرد المؤلف في تعريف الخير والشر في العقيدة الهندية ثم في العقيدة الثنوية الفارسية ، وأخيراً عند مصر الفرعونية ويمضي إلى أن يقول :

«انتقلت فكرة الشيطان مرحلة واسعة بعد ظهور المسيحية فتم



الانفصال بين الصفات الالهية والصفات الشيطانية .

وانتقلت فكرة الشيطان أبعد مراحلها بعد ظهور الاسلام ، فهي قوة الشر لامراء ، لكنها قوة لا سلطان لها على ضمير الانسان مالم يستسلم لها بهواه ، أو يضعف منه عن مقاومة الاغراء .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ .

﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾ .

بهذه العقيدة الوجدانية الفكرية أقام الاسلام عرش الضمير وشل عرش الشيطان ، فما كان سحر الشيطان إلا ضرباً من الخيال أو الخبال ، وما كان له بقوة من قوى السحر ، أو قوى العلم أن يهزم ضمير الانسان .

ويتهيء الفصل الأول من الكتاب يبحث شيق في العبادات . . . فيه أن عبادة المسلم في جميع فرائضها تتكفل بالتنبيه الدائم إلى حقيقتين :

**الأولى :** وجوده الروحي .

**الثانية :** الوجود الخالد الباقي إلى جانب وجود الانسان الزائل المحدود في حياته الفردية على أن عبادات الاسلام قد امتازت بين عبادات الأديان بمزية لا نظير لها في أرفعها ، وأرقاها بالنظر إلى حقيقتها ، أو بالنظر إلى جماهير المتدينين بها ، وتلك مزيته البينة التي يرفع بها استقلال الفرد في مسائل الضمير خير رعاية تتحقق لها في نظام وحياة .

فالعبادات الاسلامية بأجمعها تكليف لضمير الانسان وحده ولا يتوقف على توسيط هيكل أو تقريب كهانة .

يصلي حيث أدركه موعد الصلاة «وأينما تكونوا فثم وجه الله»

ويصوم ويفطر في داره أو في بطن موطن عمله . . . ويحج فيذهب إلى بيت لا سلطان فيه لأصحاب سدانة ، ولا حق عنده لأحد في قربانه غير حق المساكين والمعوزين .

ولقد تعتمد المؤلف أن يتبع الكلام عن العقائد الاسلامية يبحث في المعاملات ذلك لأن من العلماء المشتغلين بالمقارنة بين الأديان من يسلم لعقائد الدين سموها، ونزاهتها ولكنه مع هذا يعيب الدين نفسه بشرائعه ، وأحكامه ومعاملاته ويصدق هذا القول على الأديان الكتابية الثلاثة بغير استثناء للمسيحية التي يخطر لبعضهم أنها تعمدت أن تقصر الدين على العقائد والوصايا دون القوانين والمعاملات والشبهة المتوافرة في العصر الحاضر إنما ترد على المعاملات الاسلامية من قبل الناقدين والمبشرين لأنها تمس ضرورات المعيشة المتجددة في كل يوم ، وترصد للمسلم في طريقه حيث سار، وأينما اضطرت به صروف الرزق، والكسب ومرافق العمل والتدبير.

وليس في المصارف والشركات شيء نافع برىء من الضرر والغبن يحرمه الاسلام، وليس في اصول العلم والتهديب شيء يناقض حدود الجزاء في شريعة الاسلام.

ويلخص المؤلف الشبهات في المعاملات الاقتصادية الحديثة والقضاء والجزاء بالنسبة للشرائع الاسلامية فيقول :

«تتلخص شبهة المعاملات الاقتصادية في مسألة واحدة هي مسألة الربا الذي يقول الناقدون انه قوام المصارف والشركات .

وتتلخص شبهة القضاء والجزاء في حدود السرقة، والزنا، والخمر، والمقارنة بين عقوباتها في الاسلام، وعقوباتها في الشرائع الموضوعة التي تسمى بالشرائع العصرية، على أن الاسلام نفسه قد ظهر في ابان الحالة

التي أصابت الغرب بين القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر ،  
وتشبه الحالة التي أصابت المسلمين على أيدي المستغلين والمستعمرين  
... وقد كان ماحرمة الاسلام من الربا وهو البلاء الذي شقيت به شعوب  
الغرب ، وشقيت به الشعوب الشرقية والاسلام . . . فقد كان الربا الذي  
وجده في الجاهلية فنهى عنه ، وحرمه ، حقيقا بالتحريم في كل شرعة وكل  
مكان .

ومن أطلع على وصفه كما كان يوم حكم الاسلام بتحريمه لم يستطع  
أن يقول فيه قولين ، ولا أن يجعل للشرائع موقفاً منه غير موقف التحريم  
الشديد بغير هوادة تبيح للمحتال أن يتسلل إليه بذرائعه ودواعيه .

وكان آخر ما نزل من القرآن الكريم آيات في تحريم الربا نزلت قبل  
وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام - بأقل من ثلاثة أشهر وهي من قوله  
تعالى في سورة البقرة : ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي  
يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله  
البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى  
الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحوق الله  
الربا ، ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم﴾

وهكذا فلا خلاف بين المسلمين على موضوع الربا الذي وردت فيه  
آيات كثيرة ، فهو ربا الجاهلية المعروف بربا النسئنة ، وأحاديث النبي -  
عليه الصلاة والسلام - في ذلك ، وأقوال المفسرين لا موضع فيها  
لخلاف .

وفي الصحيحين أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال : «إنما الربا  
في النسئنة» وسئل الامام أحمد عن الربا الذي لاشك فيه فقال : «هو أن  
يكون له دين فيقول له اتقضي أم تربى ؟ . . . فإن لم يقضه زاده في المال ،  
وزاده هذا في الأجل» .

وبالمقارنة بين الأديان الكتابية بعد تلخيص الحكم الاسلامي في

مسألة الربا . . . نعلم ان المنافقين لا حجة لهم في اختصاص الاسلام بالنقد لما يزعمونه من تعويقه أعمال الحضارة بتحريمه هذه المعاملات لأنه لم ينفرد بتحريم الربا بين هذه الأديان حتى ماكان من قبيل البيوع التي تفسد الربا وراء ستار من البيع والشراء .

وبغير حاجة إلى المقارنة بين الأديان الكتابية نعلم أن هؤلاء الناقدين لا حجة لهم أصلاً على الاسلام فيما حرمه من ربا النسيئة أو ربا الفضل بأنواعه ، كما حرم الاسلام من هذه المعاملات كل تصرف فيه ظلم ، واضطرار ، وأكل للحقوق بالباطل ، وابتزاز للأموال في غير عمل ، ولا طائل .

وازدهار الحضارة مرهون بإلغاء كل تصرف من هذا القبيل ، غير مرهون على زعمهم حمايته ، والاغضاء عنه ، وعن ذرائعه وفي وسع المصارف والشركات أن تتجنبه وتمضى في عملها حيث كانت في البلاد الإسلامية ، فليس في الإسلام نص ولا تأويل يحرم التصرف النافع الذي لا اضطرار فيه ، ولا اغتصاب للحقوق .

ولم يدع المؤلف موضوع المعاملات دون أن يتعرض إلى بعض مذاهب الفلاسفة والعلماء في الربا بعد أن تعرض إلى مذاهب الأديان فيه يقول :

« ... فمن أقدم البحوث الفلسفية عن الربا بحث المعلم الأول أرسطو - في كتابه عن السياسة - ومذهبه فيه أنه ربح مصطنع لا يدخل في باب التجارة المشروعة وعنده أن المعاملة على أنواع ثلاثة :

١ - معاملة طبيعية وهي استبدال حاجة من حاجات المعيشة بحاجة أخرى كاستبدال الثوب بالطعام .

٢ - معاملة صناعية وهي استبدال النقد بحاجة من حاجات

المعيشة وهى التجارة التى لا حرج فيها .

٣ - معاملة مصطنعة ملفقة وهى اتخاذ النقد نفسه سلعة تباع ... فإنما حق النقد أن يكون وسيلة للمبايعة ، ومعياراً تعرف به الاسعار للسلع المختلفة ... وأما اتخاذه سلعة تباع وتشتري فهو خروج به عن غرضه وابتذال للتجارة فى غير مصلحتها .

ويكاد الفيلسوف توما الاكروينى يتفق مع أرسطو فى رأيه بالنسبة للربا .

وكما تتبع المؤلف معنى الربا فى الجاهلية ، وموقف الإسلام منه واستطراده لآراء الفلاسفة ، تتبع أيضاً حدود الجزاء فى الإسلام ... فلا حجة لمن يختص الإسلام بالنقد فى مسائل الحدود ، لأنه لم يفرض على جريمة من الجرائم عقاباً أقسى مما فرضته الأديان الكتابية قبله ، وما فرضته الشرائع الموضوعة فى أوانه .

ولا حجة لمن يتقد العقوبات لأنه يقارن بينها ، وبين عقوبات العصر الحديث ... فإن الحدود فى الإسلام بينة لا تناقض مصلحة الجماعة فى زمن من الأزمان .

ولقد كانت الشريعة الإسلامية ضرورة لا محيد عنها فى إبان الدعوة الإسلامية فلم يكن من الميسور ، ولا من المعقول أن تلبث الأمة الإسلامية حقبة من الزمن على شريعة الجاهلية ، أو تمضى فى حياتها العامة هملاً بغير شريعة يدين بها الحاكم ، والمحكوم ، ونزلت شريعتها فى حينها على مثال لا تفضله شريعة عاصرتها فى جملتها ، ولا فى تفصيلها وتعاقت بعدها العصور ، وما فى عارض من عوارضها حالة لم تقدر لها الشريعة كفايتها من التصرف والتوفيق .

ولعل المؤلف لم يتعرض بالتفصيل للبحوث الفقهاء ، لكنه مع ذلك

ذكر :

**أولاً :** أن الحدود مقيدة بشروط ، وأركان لا بد من توافرها جميعاً بالبينّة . القاطعة والا سقط الحد أو انتقل إلى عقوبات التعزير ، إذا كان ثبوته لم يبلغ من اليقين مبلغ الثبوت الواجب لإقامة الحدود .

**ثانياً :** إن القصاص مشروط فيه العمد وإرادة الأذى بعينه ، فإن لم يثبت العمد فالجزاء الدية أو التعزير ، وقد يجتمعان أو يكتفى بالدية دون التعزير أو بالتعزير دون الدية .

وختم المؤلف هذا الموضوع الهام من موضوعات الكتاب بقوله :  
روح التشريع الإسلامى كما ظهرت فى نصوص الأحكام ، وأركان الثبوت  
روح سمحة جانحة إلى العذر ، وتمهيد الطريق للتوبة والصلاح .

\*\*\*\*\*

عما لا شك فيه أن من أهم ما يشغل بال كل مسلم ماله من حقوق وما عليه من واجبات حيال ربه ودينه ... وكان أن جعل المؤلف الفصل الثالث يختص بالمباحث الداخلة ضمن الحقوق الإسلامية ، واعتبر الحرية الإسلامية أولى هذه الحقوق بالمبادأة بها ... فقد صدر المؤلف موضوع الحقوق بقوله :

«إن أصدق ما قيل فى الأديان العالمية أنها ثورات ، ولا تقاس السعة فى هذه الثورات بامتداد المكان ، ولا بكثرة العدد لأنها أوسع ما تكون إذا نشبت فى داخل النفس الإنسانية ، وكانت القوة النائرة والقوة المتغلبة فيها مملكة واحدة : هى مملكة الضمير» .

غير أنه لم تعلن فى ثورات العالم الدينية حقوق عامة للإنسان قبل ثورة الإسلام فى القرن السادس للميلاد لأن الإنسان نفسه لم يكن عاماً فيؤليه الدين حقوقاً عامة ، وإنما ولد هذا الإنسان - العام - يوم آمن الناس بالله يتساوى لديه كل إنسان ، ويوم نيّطت حقوقه بواجباته بغير تفرقة بين قبيل وقبيل .

وقبل أن يبين لنا المؤلف معنى الديمقراطية أو الحرية الإسلامية - أهم الركائز التي تبنى عليها الحقوق - نراه وهو يرجع بنا إلى ما كان يطلق عليه اليونان والرومان قديماً إسم الحركات أو الحكومات الديمقراطية ، ولكنه خطأ زعمهم بأن حكوماتهم تلك حكومات ديمقراطية ... لم يكن لها مبدأ تقوم عليه غير أنها خطط عملية لا من الفتنة ، واستجلاب الولاء للحاكمين .

ويتهى بنا المؤلف إلى أن المقصود بالديمقراطية الإنسانية غير هذا الذي قصده اليونان والرومان .

فالديمقراطية الإنسانية مما يتصور بغير عناصره الثلاث التي لا انفصال بينها : وهي المساواة ... والمسئولية الفردية ... وقيام الحكم على الشورى ، وعلى دستور معلوم من الحدود والتبعات .

وهذه هي العناصر الثلاثة التي نادى بها الإسلام لأول مرة في تاريخ الإنسان ... يقول سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينَ ﴾ ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ .

ويقول نبي الإسلام - صلوات الله وسلامه عليه - :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَأَنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ لَأَدَمٍ وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ ، إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لَأَحْمَرٍ عَلَى أَبْيَضٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى » .

ونتابع مع المؤلف موضوع الحرية الإسلامية ، وكأنه لا يريد أن يترك شيئاً لذكاء القارئ ، بل يعمل دائماً على أن يضرب له الأمثال ، ويحجب على ما يدور داخل نفسه من تساؤلات نراه يقول - :

«وطالما قيل عن الديمقراطية الإسلامية إنها هي الديمقراطية العربية نقلها الإسلام من بيئة الصحراء التي نشأ فيها» .

ثم يدلل على أن هذا القول مردود على أصحابه ، و يقيم حججه على أنه مشتقة بين الحرية الانسانية - حرية الحقوق المرعية - والطلاقة التي يتمتع بها الحيوان ، والإنسان على السواء بمعزل عن العوارض والرقباء وهي طلاقة الحكومات الجاهلية قبل الإسلام .

ويضرب المؤلف عدة أمثلة لحكومات بعض ملوك الجاهلية كحجر ابن الحارث ، وعمرو بن هند ، والنعمان بن المنذر وغيرهم .

وهي في مجملها حكومات لم يكن لها سمة إلا الاستبداد بالأمر كأشد ما عرف الاستبداد في دولة من دول الطغيان ذوات الصولة والصولجان ، فقد كانت القدرة على الظلم قرينة بمعنى العزة والجاه في عرف السيد والمسود من أمراء الجزيرة من أقصاها في الجنوب إلى أقصاها في الشمال .

ويخلص المؤلف إلى أن الديمقراطية الإسلامية لم تكن نباتا عربيا نما في الجاهلية ، وورثه الإسلام منها ... لأن الديمقراطية لم تكن لها وجود في الجاهلية ، ولم تكن الديمقراطية الإسلامية كذلك نباتا منقولا من تربة أجنبية لأن الديمقراطية الإسلامية ديمقراطية حقوق تلازم الإنسان وما نبت قبلها من الديمقراطيات فهو على أحسنه خطط عملية تميلها الضرورة على حسب الحاجة إليها ، ولعل قول المؤلف : لم تنبت الديمقراطية الإسلامية في تربة الصحراء ، ولا في تربة الحضارة ، ولكنها كانت معجزة إلهية مثلها في الظهور بين الجاهلية كمثل الإيمان بالله الواحد الأحد الذي لا يحاى قوماً لأنهم قومه دون سائر الأقوام ، ولا يلعن قوماً لأنهم ورثوا اللعنة من الآباء والأجداد - قد أجاب على تساؤل يدور بخلد القارئ وهو :-

ما مصدر الديمقراطية الإسلامية إذن ؟ .



ونمضى مع المؤلف إلى أن توقفنا فقرة فيها معنى الاحتراس ،  
والأخذ بيد القارئ حيث معالم الطريق الصحيح .

«ولسنا نحب أن يفهم القارئ من كلامنا أن المعجزة الإلهية تقلب  
أوضاع الأمور ، وتأتى فى أوانها بغير سبب مقدور وإنما نريد أن الأسباب  
لا تنكشف كلها لعلم الإنسان ، وأن علم الله سبحانه هو الذى يحيط  
بالخوارق التى لا تدخل فى الحسبان» .

وهكذا فلا جرم أن الإيمان برب العالمين إيمان بحق العدل والمساواة  
، وإيمان بالديمقراطية التى تقوم على هذا الحق فى الأرض وفى السماء  
«إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه  
أجرًا عظيمًا» .

وإذا كان هذا عهد الله سبحانه على نفسه أمام خلقه ، فالثورة التى  
جاء بها الإسلام فى عالم الحقوق أرفع وأوسع بلا ريب من أن تحسب من  
تلك الثورات التى تبدى وتنتهى فى نطاق الحركات الاجتماعية أو  
السياسية .

إنها ثورة كونية ترتفع بالحقوق والقيم فى نظر الإنسان إلى أعلى  
فأعلى ... وإلى أكمل فأكمل ، فلا تبقى له من علاقة ببنى نوعه أو  
بالكون الذى يحويه إلا ارتفعت بمقدار ما ارتفع عنده من حق ومن  
قيمة .

ومن مبحث الحرية الإسلامية ينتقل المؤلف إلى مبحث فى الأمة فلا  
مصدر للسلطة العامة فى الإسلام غير الأمة . ولا مرجع فيه للمسئولية  
العامة غير الأمة ، ولا تعارض بين هذا ، وبين نصوص الكتاب والسنة  
النبوية الشريفة ، ذلك أنها تأمر بنصوص الكتاب والسنة ، وهى  
المسئولة عن صوابها وخطئها حيث إثمرت به ، واتفقت عليه ، أو

اختلفت فيه .

وأول ما تكرر من ذلك الحق كان في حياة النبي - ﷺ - فإنه كان مأمورا بمشاورة أمته ، وكان الأمر بينهم شورى في كل شأن من الشئون غير التبليغ الذى خصه الله به ، ولولاه لم تكن الدعوة إلى هذا الدين . ولقد أدرك المؤلف مدى أهمية موضوع الأسرة بالأمّة وعلاقته بالأمّة وما دار حوله من شبهات ، وإرهاصات .

لذلك أتبع الأمّة بالأسرة فمئنها تعلم النوع الإنسانى أفضل أخلاقه الإجتماعية ، وهى فى الوقت نفسه أجمل أخلاقه ، وأنفعها .

ومئها أيضا تعلم النوع الإنسانى الرحمة والكرم .

وبالأسلوب الشيق الأخاذ يأخذ المؤلف بيد القارىء إلى معرفة أهم ما تقوم عليه الأسرة فى الإسلام فهى كيان دائم تتراد له السعة والامتداد والوثام وتتحقق سعة الأسرة وامتدادها ووثامها بنظامين من النظم التى شرعها لها الإسلام وهما :

١ - نضام المحارم فى الزواج .

٢ - نظام الميراث .

فالإسلام يحرم الزواج بالأقربين ، ولا يبيح من ذوى القرابة إلا من أوشكوا أن يكونوا غرباء - فالزواج يجمع منهم فى الأسرة أو من أوشكوا أن يتفرقوا كأبناء العمومة والخطولة .

يقول سبحانه وتعالى فى سورة النساء :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ... ﴾ .

\*\*\*\*\*

ويشرع الإسلام نظام الميراث لأن الأسرة كيان يعيش ، ويتصل عمره

بعد انقضاء أعمار أعضائه ، ولا اعتراض على نظام الميراث من وجهة النظر إلى طبائع الأحياء ، ولا من جهة النظر إلى المصلحة الاجتماعية فإن الأبناء يرثون من آبائهم ما أرادوه ، وما لم يريدوه ، وحق لهم أن يرثوا ما خلفوه من عروض كما ورثوا عنهم ما خلفوه من خليفة لا فكاك منها .

ويستطرد المؤلف إلى وثام الأسرة يتحقق بها فرضه الإسلام من حقوق لكل عضو من أعضائها ، فلا حق لإنسان على إنسان أعظم من حق الآباء ، والأمهات في الإسلام على الأبناء والذرية ، وبحسبك أنه كاد أن يكون البر بهم مقرونا بالإيمان بوحدانية الله ... يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنعام :

﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ .

أما حقوق الأسرة من حيث الروابط الزوجية ، فقد جاء الإسلام فيها بالجديد الصالح ، وأقام حقوق الزوجين على أساس العدل بينهما ، وأقام العدل على أساس المساواة بين الحقوق والواجبات وهي المساواة العادلة حقاً .

ولم يهبط الإسلام بمنزلة المرأة في جانب من جوانب حياتها العامة أو حياته البيتية التي وجدها ولكنه ارتفع بها من الدرك الذي هبطت إليه في الحضارة الغابرة ، وعقائد الأمم التي تأثرت بتلك الحضارات . فالمرأة في الحضارة الرومانية كانت تابعاً له حقوق القاصر أو ليست له حقوق مستقلة على الإطلاق .

وكانت في الحضارة الهندية عائقاً للخلاص من دولاب الحياة الجسدية ، وخلاص المرء مرهون - بالموكشا - أي بالانفصال عنها ... وكان حقها في الحياة منتهياً بإنهاء أجل الزوج تحرق على جسده عند

وفاته ، ولا تعيش بعده حتى لا تلاحقها اللعنة الأبدية .

وكان للمرأة في الحضارة المصرية القديمة حظ من الكرامة مع أن الأمة المصرية كانت من الأمم التي شاعت فيها عقيدة الخطيئة بعد الميلاد ، وشاع فيها مع اعتقاد الخطيئة الأبدية أن المرأة هي علة تلك الخطيئة وخليفة الشيطان ، ولا نجاة للروح إلا بالنجاة من أوهامها وحبائلها .

وكانت معيشة البداوة في الجاهلية العربية تمنح المرأة بعض الحرية لأنها كانت عضواً نافعاً في تلك المعيشة البدوية ... لكن هذه المعيشة البدوية نفسها كانت ترغب الآباء في ذرية البنين وتزهدهم في ذرية البنات لأن البنين جند القبيلة ، وعدتها في شن الغارات ، والتأهب لردّها ومن هؤلاء الآباء من كان يشد البنات اشفاقاً من العار إن لم يندهن خشية إملاق ... وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في سورة النحل : -

﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ .

كان هذا شأن المرأة ... لا منزلة مرضية ، ولا حقوق مرعية في وطن من أوطان الحضارة أو البداوة فلما بعث النبي - ﷺ - بالدعوة الإسلامية رفع الإسلام عن المرأة هذه الوصمات ، وخولها من الحقوق ما تساوى حقوق الرجل في كل شيء إلا في حق القوامة .

﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم﴾ .

﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة﴾ .

\*\*\*\*\*

ومادنا نتابع موقف الإسلام من المرأة فلا بد لنا من معرفة رأيه

بالنسبة لموضوع تعدد الزوجات يقول المؤلف :

«لم يأت الإسلام ببدعة فيما أباح من تعداد الزوجات وإنما الجديد الذي أتى به أنه أصلح ما أفسدته الفوضى من هذه الإباحية المطلقة من قيد ، وأنه حسب حساب الضرورات التي لا يغفل عنها الشارع الحكيم ، فلم يجرم أمراً قد تدعوا إليه الضرورة ، ويجوز أن تكون إباحته خيراً من تحريمه في بعض ظروف الأسرة أو بعض الظروف الاجتماعية العامة ، لكن الإسلام مع ذلك اشترط العدل ، ونه الرجال إلى صعوبة العدل بين النساء مع الحرص عليه .

يقول سبحانه وتعالى في سورة النساء :

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ .

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ .

وتحتوى الشريعة الإسلامية تفصيلاً مسهباً عن حقوق كل من الزوجين قبل الآخر ، وقبل الأسرة في مجموعها ، وكلها تنجى إلى هذه الغاية المقصودة من إقامة الأسرة على المودة والرحمة .

وكانت لفظة من المؤلف أن يقف عند موضوع هام هو موضوع زواج النبی ، ذلك أنه يندر أن يطرق خصوم الإسلام موضوع الزواج دون أن يعرجوا منه إلى زواج النبی ، ويتذرعوا به إلى القدح في شخصه الكريم والتشكيك من ثم في دعوته المباركة ، ودينه القويم .

وما اتفق خصوم الإسلام عن سوء نية على شيء كما اتفقوا على خطة التبشير في موضوع الزواج على الخصوص فكلهم يحسب أن المقتل الذي يصاب منه الإسلام في هذا الموضوع هو تشويه سمعة النبی - ﷺ - وتمثيله لاتباعه في صورة معيبة لا تلائم شرف النبوة ، ولا يتصف

صاحبها بفضيلة الصدق في طلب الإصلاح .

وأنهم - أى هؤلاء الخصوم - لعل أشد الخطأ في اختيارهم هذه الخطة بعينها إذ أن جلاء الحقيقة في هذا الموضوع أهون على المسلم العارف بدينه المطلع على سيرة نبيه ، فإذا بمعتلهم المظنون حجة يكتفى بها المسلم ولا يحتاج إلى حجة غيرها لتعظيم نبيه وتبرئة دينه من قالة السوء الذى يفترق عليه .

فلا حجة للمسلم على صدق محمد - صلوات الله وسلامه عليه - في رسالته صدق من سيرته في زواجه وفي اختيار زوجاته وليس للنسبة من أية أشرف من آيتها في معيشة نبي الإسلام من مطلع حياته إلى يوم وفاته .

\*\*\*\*\*

وما أن ينتهى موضوع زواج النبی حتى يطالعنا المؤلف بموضوع آخر يدور حول معنى الطبقة في المجتمع يقول :-

«الطبقة في المجتمع هي الفئة التي تتشابه به في درجة العمل ونمط المعيشة ، ومأثور الخلق والعادة ، وهي - بعد الأمة والأسرة - أكثر الوحدات الاجتماعية ذكراً ، وأكبرها خطراً في العصر الحاضر .

وخير المجتمعات إذن مجتمع يسمح للكفايات والمزايا الخلقية بالجمال الذى يناسبها في الحياة العامة ، ولكنه لا يسمح لها بأن تحرم أحداً حقوقه ، أو تقف بينه وبين مجاله الذى استعد له بما هو أهله ولو لم يولد منه ، ولم يكن منه بالنسب والوراثة .

وهذا المجتمع هو الذى يأمر به الإسلام ، ويحمده ويزكيه بتعاليمه ووصاياه ، فهو لا يمنع التفاوت بين أقدار الناس وإن كانوا من الأنبياء والمرسلين يقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة :

﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ، ورفع

بعضهم درجات .

ولا يسوى الإسلام بين العلماء والجهلاء ، ولا بين المؤمنين في صدق الايمان ﴿هل يستوى الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون﴾ .

وليس من العدل في الإسلام أن يختلف الناس في العمل ويتساووا في الأرزاق فهم يختلفون في درجات الرزق كما يختلفهم في درجات العلم أو في الرزق لا يقوم على النسب الموروث ، ولا على الغصب والسطوة ، وإنما يقوم على العمل ، ولا يحق لأحد أن يحتفظ به إلا بمقدار ما يتغنى فيه بعمله .

ويتهى المؤلف إلى أن يقول أنه لا تحل مشكلة الطبقات إلا بإزالة حرب الطبقات ، فالعالم بخير مادام فيه أنواع الكفايات وفوارق المزايا والصفات ، ومنادامت هذه الأنواع والفوارق فيه يتم بعضها بعضا ، ويجرى بعضها على معونة بعض ، والعالم على شر ما يكون إذا زال فيه كل خلاف بزوال الأداة المختلف عليها يتنازع الناس الأموال فتزول الأموال وما هم في الحق بقادرين على إزالة شيء واحد يتنازعون عليه ، ولو أزالوا فوارق الأرزاق لم يزيلوا الفوارق بينهم على الذكاء والغباء أو على القوة والضعف أو على الجاه والخمول أو على الوسامة والدمامة أو على الذرية والعقم ولو أنهم أزالوها لزالوا أجمعين ، ولكنهم باقون برحمة الله ولا يزالون مختلفين .

ومن موضوع الطبقة انتقل المؤلف بنا إلى موضوع آخر هام طالما شغل الإنسانية فترة طويلة من الزمن هو ... الرق ، شرع الإسلام العتق ، ولم يشرع الرق إذ كان الرق مشروعا قبل الإسلام في القوانين الوضعية والدينية بجميع أنواعها ... رق الأسر ... رق السبي في غارات القبائل بعضها على بعض ... ورق البيع والشراء ، ومنه رق الاستدانة أو الوفاء

بالديون ... وكانت اليهودية تبيحه ... ونشأت المسيحية وهو مباح فلم تحرمه ... ولقد رجع بنا المؤلف إلى مذهب أرسطو في الرق الذي يقرر أن فريقاً من الناس مخلوقون للعبودية لأنهم يعملون عمل الآلات التي يتصرف فيها الأحرار ذوى الفكر والمشية .

وأيضاً يعرج بنا المؤلف إلى رأى أفلاطون أستاذ أرسطو الذي كان يقضى في جمهوريته الفاضلة بحرمان العبيد حق المواطنة واجبارهم على الطاعة والخضوع للأحرار من سادتهم أو من السادة الغرباء ، ومن تطاول منهم على سيد غريب أسلمته الدولة إليه ليقص منه كما يريد .

وإذا ما تركنا أفلاطون وأرسطو على وجه الخصوص وجدنا الحضارة اليونانية كلها وقد شرعت نظام الرق العام ، كما شرعت نظام الرق الخاص ، أو تسخير العبيد في خدمة البيوت والافراد .

وهكذا فالباحث يجد أن العالم انقضى عليه عصور بعد عصور هذا النظام شائع في أرجائه ... وعلى هذه الحالة أيضاً كان العالم كله يوم مبعث الدعوة إلى الإسلام ... والذي أباحه الإسلام من الرق مباح اليوم في أمم الحضارة التي تعاهدت على منع الرقيق منذ القرن الثامن عشر إلى الآن لأن هذه الأمم التي اتفقت على معاهدات الرق تبيح الأسر واستبقاء الأسرى إلى أن يتم الصلح بين المتحاربين على تبادل الأسرى أو التعويض عنهم بالفداء والغرامة ، وهذا هو كل ما أباحه الإسلام من الرق أو الأسر على التعبير الصحيح . يقول سبحانه وتعالى في محكم آياته : ﴿فلما منا بعد وأما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾ والذين يبتغون الكتاب مما ملكتم أيانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ .

وبعد أن يرد المؤلف على فرية إباحة الرق في الإسلام - ويبين



المقصود من تلك الإباحة أنها ما اتفق على تسميته حديثاً بمعاهدات الأسرى في الحروب ... نراه يقدم لنا فصلاً تحت عنوان حقوق الحرب يقول :-

«شاع عن الإسلام أنه دين السيف ، وهو قول يصح في هذا الدين إذا أراد قائله أنه دين يفرض الجهاد ، ومنه الجهاد بالسلاح ولكنه غلط بين إذا أريد به أن الإسلام قد انتشر بحد السيف أو أنه يضع القتال في موضوع الاقناع .

وقد فطن لسخف هذا الادعاء كاتب غربي كبير هو توماس كارليل صاحب كتاب - الأبطال وعبادة البطولة - فإنه اتخذ محمداً - ﷺ - مثلاً لبطولة النبوة وقال ما معناه .

«إن اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم ، إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته ، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعتين مصدقين ، وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها» .

وبعد أن عرض لنا المؤلف شيئاً من أقوال أحد كتاب الغرب استطرد يقول :- ولم يعمد المسلمون قط إلى القوة إلا لمحاربة القوة التي تصدهم عن الاقناع ، فإذا رصدت لهم الدولة القوية جنودها حاربوها لأن القوة لا تحارب بالحجة والبينة ، وإذا كفوا عنهم لم يتعرضوا لها بسوء ... لذلك سألوا الحبشة ولم يحاربوها ، ولذلك حاربوا الفرس لأن كسرى أرسل إلى عامله في اليمن يأمره بتأديب النبي أو ضرب عنقه ، وإرسال رأسه إليه .

وحاربوا الروم لأنهم أرسلوا طلائعهم إلى تبوك فبادرهم النبي - ﷺ - بتجريد السرية المشهورة إلى تخوم الحجاز الشمالية ، وعادت

السرية بغير قتال حين وجدت في تبوك أن الروم لا يتأهبون للزحف على بلاد العرب آنذاك .

وفي الجزيرة العربية نفسها لم تقع حرب بين المسلمين وقبائلها إلا أن تكون حرب دفاع أو مبادرة إلى إنقاء المهجوم المبيت في أرض تلك القبائل ، فهذا حق السيف كما استخدمه الإسلام في أشد الأوقات حاجة إليه حق السيف مرادف لحق الحياة ، وكلما أوجب الإسلام فلإننا أوجب له لأنه مضطر إليه أو مضطر إلى التخلي عن حقه في الحياة ، وحقه في حرية الدعوة والاعتقاد ، فإن لم يكن درءاً للعدوان والافتيات على حق الحياة ، وحق الحرية فالإسلام في كليته هو دين المحبة والسلام .

\*\*\*\*

ولقد حرص المؤلف على أن يعرض موضوع له أهميته إذ يقع عليه تبعه الأمة كلها ... ألا وهو الإمام ، وحقه على أبناء أمته ...

الإمام في الإسلام هو وكيل الأمة في إقامة حدود الله فحقه مرادف لحق الأمة ما قام بهذه الأمانة ، لأنه يتولى الإمامة لإيتاء كل ذي حق حقه ويملك الأمر ، وتجب له الطاعة فيما تدعو مصلحة الأمة فيه إلى تشريع جديد .

وليس للإمام أن يعطل حداً من حدود الله ، وليس له أن يقيم حداً منها في غير موضعه .

وعلى الإمام أيضاً تقع تبعه الأمة كلها في تقدير مصالحها وضرورتها وتقدير ما يترتب على هذه المصالح والضرورات من إجراء الأحكام أو وقفها أو التوفيق بينها وبين أحوالها .

ولم يترك المؤلف القارئ دون أن يفصل له الكثير من الضوابط والآداب التي لابد أن تتصف بها الإمامة ذلك لأنها مصدر التشريع لكل

زمن بما يستجد فيه ، ولكل حالة بما يناسبها .

وينهى المؤلف موضوع حق الإمامة بهذه العبارة :

«وختم القول في هذا الحق المحيط بجميع الحقوق - حق الإمامة - أنه باب مفتوح للتشريع في كل عصر ، وكل مجتمع ، وأنه يكفل للأمة الإسلامية ما يكفله حق السيادة وزيادة ... فلا منفذ لنقد التشريع الإسلامي في جميع مصادره ما بقى له هذا المصدر مستمداً من ضمير الإنسان وحكمة الله» .

وكان مبحث الأخلاق والآداب آخر مباحث الكتاب يقول المؤلف :

«قد توصف الأخلاق في الإسلام بأنها - أخلاق محبة - لأن أصول العلاقات بين الناس قائمة في الإسلام على شرعة المحبة والأخوة كأنهم من أسرة واحدة ... ولكن الإسلام ينكر من المسلم أن يحب الخبيث كما يجب الطيب ، ويعرف العداوة في الحق كما يعرف الصداقة فيه .

وليس قوام الأخلاق كله في التوسط أو في القصد والاعتدال على مذهب الفلسفة اليونانية أو فلسفة أرسطو على الخصوص ، وليس مآل الأخلاق كله في الإسلام إلا وحي المجتمع أو وحي الإنسانية لا ترتفع إلى ما فوق جوانب الضعف فيها إن لم يكن لها من المثل العليا ما يسمو عليها أو تسمو هي إليه جيلاً بعد جيل .

وكعادة المؤلف في مقارناته المفيدة أورد لنا تعريف أخلاق القوة عند

كل من : هوبز وفردريك نيتشه الذي يقسمها إلى :

١ - قسم للسادة لا يقبله العبيد .

٢ - قسم للعبيد لا يقبله السادة .

وليس بين الفريقين جامعة إنسانية تلتقي بهم في صفة من الصفات، بل هم أعداء يتسلط منهم القادر على العاجز ولا يحسن

بالمستلطف أن يقبل من العاجز غير الخنوع والهبوط في الذلة من هاوية إلى هاوية ، لا نهاية لها غير الإنقراض والفناء .

وظاهر أن مذهب نيتشه بهذه الصورة ، وتلك التقسيات يناقض جميع الأديان الإلهية .

وتفسير هوبز للقوة لا يقرب أيضا مذهب القوة كثيرا إلى حقيقة الأخلاق الإسلامية لأن الإسلام لا يحمّد من الأخلاق أنها حيلة ملتوية أو مستقيمة إلى طلب القوة ، بل يحمّد منها في كل شأن من شئون الإنسان أنها وسيلة إلى طلب الكمال .

ويستطرد المؤلف إلى أن مدارس الأخلاق في زماننا تؤول بالفضائل كلها إلى باعث واحد وهو باعث المصلحة الاجتماعية أو باعث الغرائز النوعية التي يتصل بها بقاء نوع الانسان .

ويتهى بنا إلى أن الأخلاق الإسلامية لا يمكن أن تدخل في نطاق مذهب القوة في فلسفة نيتشه أو مذهب الطبقة في فلسفة الماديين .

ذلك لأنه لا بد من الفضائل الإلهية في تعليم الإنسان مكارم الأخلاق وما اكتسب الإنسان أفضل أخلاقه إلا من الإيمان بمصدر سماوى يعلوه عن طبيعة الأرضية ... وهذا هو المقياس الأوفى لمكارم الأخلاق والآداب الإسلامية .

وبعد

فهل لنا بعد هذه الاشراقات الممتعة لاستاذنا الراحل عباس محمود العقاد أن نردد معه ما قاله :

«نحن لم نكتب فصول هذا الكتاب لنشر بالإسلام هؤلاء الماديين المتعطشين إلى إنكار كل معنى شريف من معاني الحياة البشرية ، ولكننا كتبناه للمتدين المنصف الذي يستطيع أن ينظر إلى دينه وإلى هذا الدين

نظرة واحدة ، وكتبناه أولاً وآخرًا للمسلم الذي يتلقى حملات خصوم الإسلام مع المتدينين وغير المتدينين ليعلم أنه خليف أن يطمنن إلى حقائق دينه فى هذا العصر سواء نظر إليها بعين العقل أو بعين الإيمان ، وأنه خليف أن يواجه الغد بما يؤمن به من عقائد دينه ومعاملاته وحقوقه وآدابه وأخلاقه فلا يعوقه عائق منها أن يجارى الزمن فى المستقبل إلى أبعد مجراه .

والى هنا أخى القارئ الكريم نودع إحدى الذخائر التى أثرت المكتبة الإسلامية بحرارة وداعنا لمؤلفه العملاق الذى سنظل نذكره بالخير فى مماته ، كما ذكرناه فى حياته .

**الإسلام وحاجة الإنسانية إليه**



لقد عرفت الإنسانية منذ فجر التاريخ كثيراً من الأديان السماوية منها وغير السماوية حملتها رسل الله سبحانه وتعالى إلى البشرية جمعاء ... حتى كان الإسلام ذلك الدين السامح خاتم رسالات الله ... والذي ارتضاه للناس ديناً قيماً . . . سلاماً في اسمه سلاماً ساعة نزوله . يحس العالم ، وتحس الإنسانية دائم الحاجة إلى تعاليمه ، وشريعته ، شريعة الحق شريعة الله .

حول هذه المعاني كان كتاب : «الإسلام وحاجة الإنسانية إليه» للأستاذ الدكتور/ محمد يوسف موسى ، الذي قسمه إلى خمسة أقسام تحت كل قسم منها عدة فصول :

(أ) كان القسم الأول عن معنى الإسلام والحاجة إليه وخصائصه .

(ب) ويدور القسم الثاني حول علم التوحيد والعقائد ومعنى عدالة الله ورحمته .

(ج) أما القسم الثالث فقد تعرض الكاتب فيه إلى النبوة والبعث النبوي .

(د) كما كانت الشريعة الإسلامية معنى وخصائص ، ماضياً ومستقبلاً ، هي موضوعات القسم الرابع من الكتاب .

(هـ) وفي الباب الخامس خاتمة الكتاب يقدم لنا المؤلف فيه معنى تربية الفرد وإصلاح المجتمع والسلام العالمي ... وهو الإطار



الذى يشكل مقاصد الإسلام وغاياته .

ولنستعرض الكتاب من بدايته لنقف عند الفصل الثانى بعنوان «الحاجة إلى الإسلام» حيث قدم لنا المؤلف صورة صادقة عما كانت عليه البشرية من فساد وظلم واضطهاد ، وكيف كان الإسلام ثورة على المجادلة الجوفاء فى العقيدة ، بل كان إنقاذاً سريعاً أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الظلم إلى رحابه العدل ، بل كان الأمل الذى تطلعت إليه الإنسانية زمناً طويلاً فهو خاتم الأديان ، وله من الخصائص ما ينفرد بها وحده فهو دين الوحدة الدينية والوحدة السياسية والوحدة الاجتماعية ، ودين العقل والفكر ، ودين الفطرة والوضوح ، ودين الحرية ، والمساواة ودين الانسانية . . لذا كله فهو دين منه الدولة .

يقول المؤلف فى معنى الوحدة الدينية : الإسلام دين الوحدة لا التوحيد فقط فقد أخذت كلمة التوحيد معنى خاصا لا تعدوه وهو القول بإله واحد خلق السموات والأرض ، وما بينهما وإليه وحده يرد الأمر كله ، وذلك فى مقابلة القول بإلهين إثنين أو آلهة متعددة .

وإذا تركنا معنى الوحدة الدينية جانباً نرى الوحدة الاجتماعية التى قررها الإسلام فى هذه الناحية بلغت من الروعة والكمال حد الإعجاب ، وصارت لهذا مضرب المثل تتحدى التاريخ كله والأمم جميعا .

لقد محّا الإسلام أول الأمر النعرة الجاهلية ، وحرم التفاخر بالأحساب والأنساب إذ أبان أن أصل الناس جميعا واحد ، وهذا إذ ينادى كتابه : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .

وهذا أيضا إذ يقول رسولنا - صلوات الله وسلامه عليه - :

«كلكم لأدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا

بالتقوى .

وإذن فلا تفاضل بالأجناس والأنساب أو الغنى أو الجاه أو غيرهما ، وذلك عما تعارفه الناس مقياساً للقيم وأساساً للتفاضل .

والإسلام دين العقل والفكر ما في هذا من ريب ، وبذلك يشهد القرآن الكريم الذى يشيد بالعقل فى كثير من آياته ، والرسول العظيم فى كثير من أحاديثه ، ويدل لذلك أيضاً عقائده التى جاء بها ، وأصوله التى قام عليها .

ولعل من أهم خصائص الإسلام التى تميزه أنه دين الفطرة والوضوح ، الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها ، ودين الوضوح الذى لا يجعل العقل يقف حسيماً عاجزاً عن فهم بعض ما جاء به وإدراكه ، وبهذا وذاك يخاطب العقل والقلب والوجدان معاً .

ومن خصائص الإسلام أيضاً أنه دين الحرية بكل ما لهذه الكلمة من معانٍ ومدلولات عند الغربيين ، وعند العرب على السواء ، فقد حرر الإسلام الضعيف من القوى وسلطانه فقد كان العرب وغيرهم من الأمم السابقة يجرمون من الميراث الضعيفين : المرأة والأولاد الذكور الصغار ، كما كانوا لا يورثون الزوجة ، بل يعتبرونها - نفسها - من جملة ما تركه الزوج من الميراث .

والإسلام ليس عقيدة دينية فقط ، ولا نظاماً أخلاقياً فحسب ، بل هو دين ودولة بكل ما تتسع له كلمة دولة من معنى ومدلول ، فالإسلام نظام شامل وكامل بلا ريب ، فهو يحكم الإنسان وتصرفاته فى كل حالاته فى خاصة نفسه ، وفى علاقته بالله تعالى وفى صلته بأسرته ، وفى علاقاته العديدة المختلفة بالمجتمع الذى يعيش فيه ، وفى علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى ، فهو ينظم كل هذه الأحوال

والعلاقات ، وذلك ببيان الأصول والمبادئ العامة التى تقوم عليها ، والقواعد والقوانين والنظم التى تحكمها على اختلاف أنواعها :

ولنتقل مع مؤلفنا إلى القسم الثانى من الكتاب حيث يحدثننا عن نشأة علم الكلام وتطوره فيقول :

«التوحيد هو اعتقاد وجود الله الواحد الأحد الذى لا شريك له فى ذاته أو صفاته ، أو أفعاله ، والذى بعث الرسل لهداية العالم والإنسانية إلى طريق الخير ، والذى يسأل العبد فى الحياة الأخرى ويجزيه على ما عمل فى الحياة الدنيا من خير أو شر ، وقد نشأ هذا العلم فى الإسلام كما فى الأديان الأخرى السابقة لعوامل اقتضت نشأته ثم جد ما جعله يتطور من حال إلى حال» .

ثم ينتقل إلى بحث وجود الله سبحانه ومعرفته وحدث العالم عنه حيث يورد لنا الآية الكريمة ﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ .

والآية الشريفة : ﴿أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شئ وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون﴾ .

تلك الآيات الكريمة هى مفتاح الدليل على وجود الله تعالى ومعرفته والدليل على وحدانية . ويستوقفنا المؤلف بأسلوبه الفلسفى الشيق عند الفصل الثانى من القسم الثالث وموضوعه البعث والحياة الأخرى يقول :-

«إن البعث والانتقال من هذه الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى الخالدة أمر يتفق فيه العقل والدين أو كما يقول الفيلسوف ابن رشد : هو أمر إتفقت عليه الشرائع ، وقامت عليه البراهين عند العلماء وذلك لأن يعتبر

تحقيقها بأفعاله ثمرة وجوده في الدار الدنيا ، فلا مناص إذن من أن يبعث بعد موته ليؤدى حساباً عما عمل في سبيل هذه الغاية ، وفي هذا يقول الله العليم في سورة «المؤمنون» .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ، وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾ .

وكانت الشريعة الإسلامية في تعريفها ونشأتها وتطورها ، ومدى الحاجة إليها هي موضوعات القسم الرابع من الكتاب يقول المؤلف في تعريفه للشريعة «يراد بالشريعة كل ما شرعه الله للمسلمين من دين سواء أكان بالقرآن نفسه أم بسنة الرسول - ﷺ - فهي لهذا تشمل أصول الدين أى ما يتعلق بالله وصفاته ، والدار الأخرى ، وغير ذلك كله من يحوث علم التوحيد أو علم الكلام» .

كما يقول المؤلف في الحاجة إلى الشريعة وخصائصها :-

ظهر الإسلام والعرب بل العالم كله في أشد الحاجة إليه فاتاهم العقيدة الحقّة والشريعة الصحيحة والنظم التى يقوم عليها المجتمع والأمة لتسهم في بعث العالم ونهضته وإخراجه من الظلمات إلى النور . وكان من هذه الشريعة والنظم ما نسميه بالفقه أو التشريع الإسلامى .

### وأهم خصائصه :

- ١- إنه يرجع في أسسه العامة إلى وحى الله تعالى .
- ٢- التمهيد لأحكامه بوازع الدين والأخلاق .
- ٣- جزاؤه دنيوى وأخروى معا ، ونزعه جماعية .
- ٤- قبوله للتطور حسب بيئات الزمان والمكان .
- ٥- غايته تنظيم الحياة الخاصة والعامة وتيسيرها وإسعاد العالم كله .

أما القسم الخامس من الكتاب فكان بعنوان : مقاصد الإسلام وغاياته تناول فيه المؤلف ثلاثة قضايا الأولى تربية الفرد والثانية اصلاح المجتمع .

أما الثالثة فكانت عن السلام العالمى . يقول فى تربية الفرد : -  
« من المعروف أن الفرد هو اللبنة الأولى التى يتكون منها المجتمع ،  
ويقوم عليها فتمتئ نشأ الفرد تنشئة صالحة صلح المجتمع بلا ريب .  
وهنا نجد الإسلام قد عنى عناية كبيرة بتربية الفرد عناية لا نجدها  
- من ناحية الشمول والتفصيل - فى دين آخر من الأديان السماوية التى  
جاءت قبله » .

ويقول فى إصلاح المجتمع :

« أول حلقة فى سلسلة المجتمع التى تمتد حتى تشمل العالم كله هى  
الأسرة وهناك نجد الإسلام قد حاط الأسرة بكل الحقوق والضمانات التى  
تجعلها أسرة هانئة حقاً ، والتى تجعل منها عدة وممدداً لمجتمع سليم  
سعيد إذا قام كل من أفرادها بباله من حقوق وما عليه من واجبات كما  
يفرضه الإسلام » .

ويقول المؤلف فى السلام العالمى :

« الإسلام ليس ديناً مغلقاً على شعب واحد أو أمة واحدة ، بل هو  
دين مفتوح لكل من يطلب الحق ، ويؤمن به ، هو دين عالمى للناس  
جميعاً فى جميع العصور لذلك كان من الطبيعى ان يرعى الإسلام هذه  
الحقيقة الواضحة ، وأن يعمل على أن يعيش الناس بسلام فى جميع أنحاء  
العالم وفى كل الأزمان وتنجلي هذه الرعاية من نواح عديدة مختلفة ، فهو  
لا يعادى غير المسلم بل يساعده ويحض على حسن معاشرته دفلاً للإسلام  
من أهدافه السامية أن يعيش العالم كله فى سلام . . وهذا ما أخذ به

المسلمون أنفسهم في السلم والحرب ، وكان له أثر طيب على الإسلام والمسلمين والعالم أجمع .

وهكذا تنتهى جولتنا مع إحدى ذخائر الكتب الإسلامية والذي جعلنا نتسائل ونخرج من تساؤلنا أنه لا يوجد وسيلة لاصلاح هذا العالم الذى نعيش فيه سوى هذا الدين الإسلامى نؤمن به حقاً ، ونفهمه حق الفهم ، ويكون منا دعاة وزعماء مخلصون ، دعاة وزعماء يجعلون حياتهم وقفاً على الدعوة إليه ، ويرون سعادتهم في القيام به ، ويكونون في سرهم وعلايتهم مثلاً طيبة وقدى صالحة تدعو وحدها إلى الإسلام .

وهكذا فإن الدين الإسلامى لايزال العالم في حاجة شديدة إليه ، ولا خلاص للإنسانية مما تعانيه إلا بالإيمان به واتباعه ، فهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والداعى إلى الحق وإلى الصراط المستقيم .



القرآن والمنهج العلمي المعاصر





القرآن كتاب الله الجامع ، ولا يكون جامعاً إلا والمجموع فيه أمور كلية ، وله منهاج تتبعه العقول والقلوب لإدراك معانيه ومراميهِ وإجراء ما لا يتناهى من الحوادث على قواعده التى تهدي للتى هى أقوم وتبشر المؤمنين بغد أفضل ، يتأدون إليه بالتفكير الحر ، والابتكار المستمر ، والعمل الصالح لعمارة العالم الذى استخلف الله فيه عباده .

والإسلام جامع بين الدين والشرعية ، أما الدين فبينه كله ، وأما المعاملات فبين أصولها وأثبت أصل الاجتهاد بين أصول الفقه ، ليصيره العلماء منهجاً عاماً للتفكير الإسلامى ويزدهر على أغصانه كل فروع العلم . حتى إذا انتقلت العلوم الإنسانية إلى أوروبا كان المنهج أرقى بالفكر ، وأبقى على الدهر حتى التزمته أوروبا وأصبح من المسلمات العملية أن المنهج العلمى المعاصر يمت إلى المنهج الإسلامى بأوثق أسبابه .

### عزيزى القارئ :

هناك من الكتب ما يواكب أحداث العصر . . وهناك من الأساتذة الكتاب من يكتب لكل عصر .

من هذه الكتب «القرآن المنهج العلمى المعاصر» .

ومن اعلام الكتاب الأستاذ عبد الحليم الجندى .

يؤكد الكتاب أن المنهج العلمى المعاصر يمت إلى المنهج الإسلامى

بأوثق أسبابه .

وتبدأ الدراسة بمصدر المنهج وهو القرآن وإعجازه في أساليبه وألفاظه ثم تستعرض أصول الفقه الإسلامى وعمل العلماء به ، وتتناول بعد ذلك علامات الطريق التى سلكتها أوربا إلى علوم العرب مرحلة فمرحلة .

كما تقدم هذه الدراسة منهج «يكون» الذى ساد القرن السابع عشر الميلادى ، وكيف احتوى على خصائص المنهج الإسلامى ودقائق وأصول الفقه التى عمل بها المسلمون .

وينهى الكاتب دراسته الشيقة والمتأنية بالحديث عن ثمرات العمل بالمنهج القرآنى الذى يفوق فى دقته وشموله كل المناهج ، والكاتب فى بيان عمل المسلمين فى هذا الصدد استقرأ أعمال عشرين من الأعلام الذين أضاءت علومهم ظلمات العصر الوسيط ، وغدوا طلائع عصر الأحياء فى أوربا فى الفقه والفلسفة الدينية ، واللغة والنحو فى العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية والكيمائية والطبية والصيدلية والفلسفة الاجتماعية .

ومعك عزيزى القارىء نقف عند معالم ما جاء بين دفتى الكتاب . . فكان الباب الأول حول اعجاز القرآن الكريم يقول الحق تبارك وتعالى :-

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل ٨٩) .

القرآن كلى الشريعة ، ولكل فهم له أو احساس به درجة علم بالدين ، وإيمان به وتبصرة للعقل الإنسانى ، بلسان عربى مبين فى نظم عجيب وأسلوب مخالف لأساليب العرب ، خارق لعاداتهم ومألوفهم ،

من فصاحة وبلاغة في تهذيبه وإرشاده وتشريعه ، مما أعجز العامة والخاصة على مدار الزمان .

يقول الزمخشري عن تفسير القرآن «فالفقيه وإن برز على الأقران . . والمتكلم . . وحافظ القصص (التاريخ) . . والأخبار . . والنحوي . . واللغوي . . لا يتصدى لسلوك تلك الطريق . . إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان بعد أن يكون أخذاً من سائر العلوم بحظ» .

والمعاني القرآنية بمقاصدها المتنوعة تنغيا حفز الإنسان والأخذ بيده ليتسامى إلى مستوى الجدارة بخلافة خالقه سبحانه في الأرض وتتخذ لذلك أساليب متعددة ، وموجهة لكل الأزمنة .

ومن أجل ذلك وضع القرآن للبشر مصابيح تضيء الطريق وتهدى إلى عيون الحقائق أو المعاني بمقدار ما يرى أو يدرك كل امرئ في زمانه أو مكانه .

ولقد بذل العلماء منذ القرون الأولى غاية الجهد في بيان وجوه إعجاز القرآن وخصائص أسلوبه وتتابع المؤلفات في مجاز القرآن ومعانيه . وتتابع العلماء على هذا المتوال طوال القرون ، وهم مجمعون على أن إعجاز القرآن مرده إلى المعاني التي تسكبها أساليب القرآن في نفوس سامعيه ، والعرب ذوو لسن وبلاغة كانت لغتهم أيام نزول القرآن أعظم اللغات وأعلاه ، وما تزال لها صدارتها بين اللغات التي تكلم بها أهل أوربا بعد ذلك بنحو قرون ثمانية وهي اللغات المتداولة الآن ، وكان طبعياً أن يقع الإعجاز فيها إختص به العرب .

ويضرب المؤلف أمثلة من إعجاز القرآن الكريم من بين (٦٢٣٦) آية هي مجموع أي الكتاب العزيز .

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَإِيتَاءِ ذَى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغَى يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ . (النحل - ٩٠)

### عزيزى القارىء :

لعلنا جميعا نرى فى الآية الكريمة عظمة البيان الذى يلائم عظمة محتوى الآية من الأحكام ، كما نرى من جلال أثرها ما يساوى الصدمة الكبرى لإفهام أساطين البلاغة المكابرين فيتضافر جلال الموضوع وأثره وجمال الأسلوب وبدائعه فى بلوغ الغاية .

أولا : فالآية الكريمة من ناحية المعانى أجمع آية للأحكام كما يقول الإمام عز الدين بن عبد السلام وفيها الوجازة والوضوح والشمول والأحكام جماع المعانى العظيمة فى الشريعة .

ثانيا : من ناحية تأثيرها فى النفوس يروى القاضى (عياض) أن الوليد بن المغيرة من سادات قریش وبلغائها - وكان يكيد للنبي ﷺ - لم يكذب سمعها حتى قال : -

«والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر . ما يقول هذا بشر» .

ثالثا : وأما عن الأسلوب فى الآية الكريمة فإنك واجد فى كتاب تحرير التحرير لابن أبى الاصبع المصرى ما يلى : -

أنه عز وجل أمر فى أول الآية بكل معروف ونهى بعد ذلك عن كل منكر ووعظ فى آخر الآية بأبلغ موعظة وذكر ألطف تذكير بألفاظ اتفق فيها ضروب من المحاسن مع كونها ألفاظ الحقيقة وهى صحة الأقسام لأنها استوعبت جميع أقسام المعروف والمنكر والطباقيين اللفظى والمعنوى ،

وحسن النسق ، وحسن البيان والايجاز واكتلاف لفظ الكلام في معناه .  
ومن إعجاز القرآن إلى كليات أساسيه فيه ، فالقرآن الكريم فهمه حق فهمه وعمل به بضعة آلاف من الصحابة ، ففتحوا للعلم والحضارة - في بضع سنين - امبراطوريتين كانتا تحكمان العالم ، مما يعتبر وجه اعجاز علمي عالمي دائم الدلالة للقرآن ورسالة الرسول ﷺ وإعلانا عن حاجة الأجيال التالية ليسبحوا في بحار معانيه ويستنبطوا أحكامه ويقدموها للناس ، والارشاد والاستنباط هما وجهان من وجوه «حفظ القرآن» ووسيلتان للعمل بأحكامه والاهتداء بهديه .

لقد حفظ الله القرآن في الصدور وفي الصحف كما يتزايد عدد حفاظه بمرور العصور ، وحفظت معانيه قلوب المسلمين ، ويتزايد العمل بها حيثما عمل بها الافراد والجماعات وإن لم يدينوا بالإسلام .

ولما سبق العالم الاوربي من بضع قرون باعتراف (المنهج العلمي) الذي جاء به القرآن ، كان يسلم بوجه اعجاز عالمي آخر مستمر ملموس يشارك المسلمون وغير المسلمين في اثباته ، وهذا المنهج العالمي القائم على كليات أساسية منها :

## **أولاً : العلم واستعمال العقل :**

والله تعالى يقول : ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾

(سورة الزمر - ٩٠)

وأمر القرآن باجتهاد العقل ليفتح الأبواب الواسعة لادراك الحقائق ونعى التقليد على المقلدين ، وطالما قدم القرآن الحجج وطالب بها الناس ليهتدوا دائماً بالدليل .

## ثانياً : الحرية :

الحرية والعقل صنوان في الإسلام والحرية لزام للإنسانية ، وعليها تقوم المسؤولية ، وحيث تنعدم الحرية بالقهر أو بالعجز تتعين الهجرة إلى حيث يجد الإنسان حقوقه التي قررتها له السماء وفتحت له أرض الله الواسعة قال تعالى :

﴿قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ . (سورة النساء - ٩٧)

والحرية في الإسلام واسعة ومتنوعة : حرية نفس وحرية فكر وحرية قول ومنها حرية العقيدة وحرية الاقتناع وحرية الجدل والمطالبة بالدليل وكل أولئك تعبير عن الأرادة المستقلة للإنسان . لا يكره الإسلام أحداً على رأى . والقرآن يضع المبدأ في أقوى العبارات بالنهي والأمر بقوله :

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾

(سورة البقرة - ٢٥٦) .

ويقول لرسوله : ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾

(سورة يونس - ٩٩) .

## ثالثاً : الإقناع :

والبرهان عقل وعمل في وقت واحد ، لتشارك الفطرة الفكر في تقديره وتقديمه وهذه الحقيقة ثابتة في ركن الإسلام ، فالإيمان اقرار بالعقيدة وعمل بها والمسلمون من احترامهم للعقل - لا يعتبرون إيمان غير المقتنعين ، أو كما يعبر الإمام محمد عبده : «إن التقليد بغير عقل ولا هداية شأن الكافرين ، والمؤمن لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به» .

ومن صور الاقناع في القرآن الكريم ، أنه يذكر الآيات ، ويورد النبؤات ويستعمل القسم ، ويخاطب الفطرة ، ويبين السنن التي لا تختلف ويستعمل التحدى للمكابر ، وفي كل أولئك احتجاج بواقع لا يمكنهم أن يتباروا فيه وهو الاجتهاد كما يقول الإمام الشافعى يقول الحق تبارك وتعالى : - ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون﴾ . (الزمر - ٢٧) .

ومن الأمثلة إلى المطالبة بالدليل والبحث والفهم لا مجرد الحفظ يقول سبحانه وتعالى : - ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (سورة النحل ٦٤) . ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ (سورة يونس ٣٩) . ويقول تعالى : ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بشس مثل القوم﴾ (سورة الجمعة - ٥) .

#### رابعاً : طريقة الدعوة إلى الإسلام :

المنهج طريق برهانى والدعوة فاتحة له فيها خصائصه من حكمة ويسر وطريق الدعوة :

(أ) الحكمة ..

(ب) إذا دعا داع لجدال فأشكل بالمسلم وأمثل في الاقناع أن يكون جداله بالتى هى أحسن .

(ج) العدل والتعامل بالمثل .

(د) العفو عن المخطيء والاستغفار له .

#### خامساً : منهج استقرار الواقع واستعمال العقل للاعتبار :

هذا واضح في كثير من السور ففي الآيات من ٤ - ١٨ ومن ٦٦ - ٧٠ ومن ٧٥ - ٨٠ من سورة النحل تبدأ الآيات بستة سبحانه في



خلقه ثم استعراض أو استقراء الكثير من النعم والظواهر العظمى لخلقه واقتداره ، مما تحس به كل الحواس الانسانية ، وتكرر أن في ذلك لآيات لقوم يعقلون أو يؤمنون أو يتفكرون أو يتذكرون لعلهم يشكرون أو يسلمون ، والشكر نتاج فهم وطمأنينة نفس ، والإسلام هو النتيجة المرجحة .

وبعد استعراض هذا الكثير العظيم مما لا يحيط بوصفه إلا خالق الكون تحتتم الآيات بأن هذا القليل من كثير لا يستقصى .

### سادساً : النهي عن التقليد وعدم الاستسلام للأوهام :

جمع القرآن في هذا الباب وجوه الجانب السلبي من تعطيل العقل ليعطيه بسياج واق من العلل التي تنتج من الجهالة أو الضلالة أو الخوف أو الخرافة لتعطيل الفكر فوردت النصوص في غير موضع للتنديد بوجوه من الضلال أو التقليد (وهو اتباع رأى الآخرين دون معرفة الدليل) .

وأسابها آفات مركوزة في الطباع كإتباع تفكير سقيم ، لأن الغير يقول به ومنها اتباع الظن أو الهوى أو الميل إلى الذات أو إلى آراء السابقين المضللين أو مجارة أهواء أو أوهام درج عليها الأهل أو المجتمع أو أصحاب السيطرة .

وينهى المؤلف الباب الأول من الكتاب بالإشارة إلى أهم الأمور التي عاجلها من خلاله وأجلها فيما يلي : -

أولاً : أن المنهج القرآني موجه إلى الإنسان بجمعه - فطرته وبديته وأحاسيسه ومداركه وعقله ليستقرىء الواقع ويستنبط الحقيقة كما يخاطب النفس بعناصر الكون الذي هي جزء صغير فيه يؤثر فيها أكثر مما يتأثر

ثانيا : إن الإسلام يجمع بين الدين والحياة والعلم والعمل ويحرص على الحرية الفكرية والشخصية الإنسانية ، ويفرض استعمال العقل فهو يقول للناس : - تأملوا الحقائق وستقودكم الحقائق إلى الإيمان ولا يقول أحبار الديانات الأخرى آمنوا وسيقودكم الإيمان إلى الحقائق .

ثالثا : إن المنهج الفكري في الإسلام لا يفرض نظرية يلزم بها أحداً بل يقدمها ويترك الحرية كاملة في الاقتناع .

رابعا : ورود النصوص واضحة صريحة في النهي عن كل ما يعطل الفكر عن العمل من أوهام وأغاليط أو تقاليد ومزاعم لا يؤيدها دليل ، لينطلق الإنسان حراً في الآفاق التي حشه الله على ارتيادها ليتعلم ويتقدم ويتطور مهتدياً بالأصول التي نزل بها القرآن وأوضحها السنة .

خامسا : إن القرآن جمع من أساليب التهذيب والارشاد والتشريع ما يرفع من مستوى الإنسان إلى حيث تشاء السماء يأخذ بيده في كل أطواره بالرحمة والنصفة ليستحضر على الدوام مسئوليته عن نفسه وعن مجتمعه بالعدل والاحسان في حق نفسه وحق غيره ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبهذا يكون المسلمون خير أمة أخرجت للناس .

وبهذه الخصائص من الواقعية والعقلانية والحرية والاجتهاد في شريعة قوامها الرحمة والعدل واستقلال الارادة ، شجع الناس في كل الديانات والاجناس على اعتناق الإسلام والدفاع عن عقيدته ، واستحبوا خطته في الحياة وقبلوا منهاجه في العلوم ، اجتماعية أو علمية أو تطبيقية أو رياضية فهذا منهج للتفكير الانساني والعمل اليومي يحيا به ويتطور على قواعده ...

وننتقل إلى الباب الثاني من الكتاب الذي يدور حول : أصول الفقه في القرآن الكريم . يقول الإمام الشافعي - رضى الله عنه - «كل ما

نزل بمسلم ففيه حكم لازم ، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجوده ،  
وعليه إذا كان فيه بعينه حكم اتباعه ، وإذا لم يكن فيه بعينه طلب  
الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد ، والاجتهاد القياسى .

قسم الباب إلى :-

أولاً : أصول الفقه فى القرآن والسنة .

ثانياً : علوم القرآن والسنة .

ثالثاً : الاجتهاد .

ومن استقراء هذه العناصر المكونة لمحتويات الباب ، يخلص  
للقارئ أمور من خصائص المنهج الإسلامى تجتمع فيها جاء من أصول  
الإمام الشافعى .

- الاستقراء الدقيق للواقع والألفاظ والأساليب والنصوص وأسانيد  
السنة واللغة لاستنباط الدلالات والعلل والأحكام .

- التزام الواقعية فى الأخذ بدلالة الظاهر الثابت بالسمع أو البصر  
أو الحس ، وما يجرى مجراها دون تعويل على الأمور الباطنية «الغيبات»  
أو المنطق اللفظى أو الاحتفال بمصدر الرأى دون دليله .

- وفاء نصوص القرآن والسنة ويلتحق بهما الإجماع ثم الاجتهاد أو  
«القياس» على الأصول ذاتها لكل ما يلزم البشر من الأحكام .

- النهى عن اتباع رأى دون دليل عليه ، أو الأخذ بالهوى أو الظن  
أو أقاويل الآخرين أو التقاليد أو الآراء الشائعة ، وإيجاب الاجتهاد على  
من تعين عليه ، وتشبيه الاجتهاد بالجهد فى سبيل الله وثواب القائم به  
وجزاء المقصر عنه .

- اشتراط اثنى عشر شرطاً فيمن يستعمل «آلة القياس» لتحقيق

- الأصل والفرع والحكمة والعلة المؤثرة في تقرير الحكم وإنزاله على الواقعة .
- ان أول الشروط هو العلم مع النزاهة الخلقية ، وأن الشروط ضوابط عامة ملزمة متشعبة بحيث لا يقلت عنصر من عناصر «القضية القياسية» أو «العملية التجريبية» من التمحيص الحريص والتكرار حتى التيقن والتثبت قبل إعلان الرأي مع استمرار الاختبار مما أصبح أنموذجا للدقة في كل تجربة .
- إن الاجتهاد قد يغيره اجتهاد جديد لدليل جديد ، وبهذا يفتح الباب للتطور.

### عزيزي القارئ :

لعلك تتوق إلى أن تستعرض الباب من أوله ، عد الشيخ مصطفى الرزاق تلميذ الشيخ محمد عبده اطروحة للسربون عن الإمام الشافعي قال : ما خلاصته في كتابه الذي درسه آنذاك بالجامعة «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية» .

«لأن المذاهب الفقيه اتجهت قبل الشافعي إلى جمع المسائل وترتيبها ووردها إلى أدلتها التفصيلية خصوصا عندما تكون أدلتها نصوصا ، أما أهل الحديث فلكثره اعتمادهم على النص كانوا أكثر تعرضا لذكر الدلائل من أهل الرأي وأتى الشافعي بمذهبه الجديد وكان قد درس المذهبين وتبين له ما فيهما من نقص ، فعمل على ان يتلافى هذا النقص وقد قدم الشافعي هذا النظام الاستنباطي في «الرسالة» فأخذ ينقص بعض التعريفات من ناحية خروجها على نظام متحد في الاستنباط ، وهذه الطريقة طريقة فلسفية بحتة ، وكان هذا الاتجاه من الشافعي هو اتجاه العقل العلمي الذي لا يعنى بالجزئيات والفروع ، وكان تفكيره تفكير من

ليس يهتم بالجزئيات والتفاريح ، بل كانت غايته ضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول تجمعها وذلك هو النظر الفلسفى .

والواقع أن الإمام محمد بن ادريس الشافعى «المولود سنة ١٥٠ والمتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة» وضع نظامه أو منهجه فى حلقة بمكة بعد أن رجع من العراق سنة ١٨٤ فى أعقاب محاكمة الرشيد له لاتهامه بالتشيع .

«الشافعى فيلسوف فى أربعة أشياء : «فى اللغة ، واختلاف الناس والمعانى والفقه» . والحق أن ظهور الشافعى كان استجابة كريمة من الساء لحاجة الأمة إلى أصول تهدى إلى فهم شريعتها ، بل إلى فهم سائر العلوم لأن أصحابها أخذوا فيها بأصول الفقه .

ثم كان الفصل الثانى من هذا الباب حول علوم القرآن والسنة يقول - عليه الصلاة والسلام - «إن الله أهلين من الناس» .

قالوا : من هم يارسول الله؟ قال : «أهل القرآن أهل الله وخاصته» .

والشافعى فى الصف الأول من أهل القرآن أجرى الله على لسانه فى الكلمات الأولى من كتاب الرسالة سطوراً تسجل له استحضاره للمنهج القرآنى فى ذهنه وقلبه فجمع الله له فيها ما ورد تفاريق فى الكتاب المجيد من تنديد بعناصر الجانب السلبى المعطل للاجتهاد الفكرى ، وهى الخضوع للخرافات وعبادة الأصنام والأوهام والآراء الشائعة الفاسدة التى يتناقلها الآباء أو يأمر بها الأبحار ليخلص كتاب الرسالة كله للجانب الايجابى فى استعمال العقل ، ويمكن اجمال هذا الجانب الايجابى فى أمور:-

أولها : النص فى القرآن .

ثانيها : النص فى السنة وعلوم السنة .

ثالثها : الاجماع .

رابعها : الاجتهاد .

وبما أورده الشافعى فى الاجتهاد يتكامل المنهج العلمى فى أصول الفقه ، ومن العناية بالنصوص ومعانيها وتحرى دلالاتها ، وبالاستقراء الصحيح .

ومن شروط الشافعى فى المجتهدين وفى استعمال ما سماه آلة القياس تكوّن المنهج العالمى .

وينقلنا المؤلف إلى الباب الثالث من كتابه ، وموضوعه انتقال المنهج إلى جميع العلوم وهو يأخذ بيد القارىء خطوة خطوة ليعرف عظمة الإسلام وعلمائه ، بدأه بقول الإمام الغزالى رضى الله تعالى عنه :-

«من لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال» .

والمؤلف - دائما - مع الإمام الشافعى منهجه فى أصول الفقه ، منهج للوحدة الفكرية تضبطها قوانين عامة استطرد العلماء بها إلى العلوم التطبيقية والكونية من فلك وطبيعة وكيمياء ورياضة وطب وجغرافيا وجيولوجيا وغيرها من العلوم .

والعقلية الإسلامية بوجه عام تنطلق من القرآن والسنة ، فهما درسها الأول ، فلا تكاد تجد عالما أو متعلما فى أى قرن لم يبدأ بحفظ القرآن والسيرة ، وقد يزداد فيدرس اللغة والأدب ، فإذا رقى فى سلم العلم كانت فنون المناظرة أو علوم الكلام أو أصول الفقه أو ضروب الفلسفة أو بعض درجاته ، وإذا تخصص فى العلوم الرياضية والتجريبية أو التطبيقية كان القرآن عماده بمنهج التفكير الذى رسمه .

يقول - ﷺ - : «تناصحوا فى العلم فإن خيانة أحدكم فى علمه

أشد من خيانتة في ماله ، والله سائلكم عنه . وكتاب الله العزيز نزل  
تبياناً لكل شيء على أيدي المسلمين وغير المسلمين .

والمؤلف في هذا الصدد يختار خمسة من أئمة الدين والفقه  
والفلسفة وغيرهم من العلماء في فروع العلوم الاجتماعية المختلفة لينقلنا من  
بعدهم إلى آخرين في فنون العلوم التطبيقية بدأ بالإمام جعفر الصادق  
الإمام السادس للشيعة الإمامية يليه أبو حنيفة «الإمام الأعظم» في الفقه  
لأهل السنة والثالث زعيم فرقة من فرق المتكلمين «المعتزلة» هو الجاحظ  
والرابع وهو الغزالي أصولي فقيه متصوف .

أما الخامس فعالم في الفلك وفيلسوف من المغرب بالأندلس مايزال  
الأدب العالمي يقلده . وفي مجال التجربة أو الاستقراء والقياس ، تزوج  
الفكر الفلسفي والمنهج العلمي وما سماه الجاحظ منذ القرن الثاني أو  
الثالث «علم التجربة» أو الرياضة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو الجغرافيا  
أو الجيولوجيا أو النباتات وغيرها .

وتصدر الجميع «جابر بن حيان» ١٦١هـ - ٧٧٨م بأعماله في  
الفلسفة والعلم أو الكيمياء وهو - لامراء - «إمام التجريبيين» في جميع  
العصور ، ولذلك تباع له أوروبا مع كثرة كتبه في الفلسفة على أنه «أول  
كيميائي في التاريخ» .

ثم الخوارزمي ٢٣٥هـ - ٨٥٠م عرفت أوروبا الأرقام الهندية  
وعلم الجبر عن طريق كتبه .

ثم الكندي (١٧٥ - ٢٥٢هـ) (٨٠١ - ٨٧٨م) ويلقب بفيلسوف  
العرب ، وهو يعرف الفلسفة بأنها (علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة  
الإنسان) .

ومن الكندي إلى أبو بكر الرازي (٢٤٠هـ - ٣٢٠م) (٨٦٤م -

٩٢٥م) جالينوس العرب كما يسميه المؤرخون الفرنجة بلغ مبلغاً عالياً في دراساته الفلسفية ، وأكب على دراسة الكيمياء حتى انتصف عمره .

ثم المسعودى (٣٤٦هـ - ٩٥٦م) عالم فلكى وجيولوجى ، ومؤرخ وجغرافى له من الكتب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» و«التنبيه والإشراف» .

هناك أيضاً الحسن بن الهيثم (٣٤٥ - ٤٣٠هـ) تجتمع أطراف المنهج الأصولى فيما كتبه ومن ابن الهيثم إلى ابن سينا (٣٧٥ - ٤٣٨هـ) برز في بواكير شبابه في الفقه وألف فيه ، ثم اتجه إلى الفلسفة فقرأ كتب الرازى في الفلسفة والطب ، فصار العلمان ميدانه . له ١٠٧ مؤلفات في العلوم والفلك والطب والفلسفة أشهرها كتاب (القانون) في الطب .

ثم هناك أبو الريحان البيرونى (٣٥١ - ٤٤٠هـ) - (٩٦٥ - ١٠٤٨م) عالم فلكى رياضى وكيميائى وطبيعى موسوعى المعرفة ، أديب في اللغة يرى العلم عبادة ، ويحرص على العلم بدقائق الفقه وفرائضه . أهدي إليه السلطان مسعود جالاً محملة فضة فأعادها شاكراً وقال : «إنه يخدم العلم لا المال» .

ومن البيرونى إلى ابن البيطار (٦٤٦هـ) والمنهج الأصولى من أوضح ما تقرؤه في استهلال ابن البيطار لكتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) ظل هذا الكتاب مرجعاً حتى العصور الحديثة .

ثم هناك التيفاشى (٦٥١هـ - ١٢٥م) أول جيولوجى في التاريخ يصنف المعادن تصنيفاً يتبعه العلماء الآن وتظهر في تجاربه الملاحظات التى تعكس الواقع بنزاهة علمية والتاريخ يسجل له سبق فيما يسمى بتجربة الشعلة .

وأيضاً هناك عبد اللطيف البغدادى (٥٥٧هـ - ٦٢٩م) فقيه



شافعي ، وأستاذ لغة وبيان صاحب تجارب خالدة الأثر في الطب .

ومن العلماء أيضا القزويني (٦٠٥ - ٦٨٢ هـ) (١٢٠٨ - ١٢٨٣ م) وهو فقيه وإمام في الحديث ومفسر القرآن ، وقاضى وجغرافى من نسل أنس بن مالك صاحب رسول الله - ﷺ - وهو بكل ثقافته مثل صدوق للمنهج العلمى في فروع العلم الإسلامى لذلك تقرأ نصوص القرآن في مبادئه وتنفيذها فيشير إلى قوله تعالى : ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾ . وأيضاً هناك ابن النفيس (٦٧٨ هـ - ١٢٩٦ م) فقيه شافعى طبيب تخرج في الأزهر وتولى تدريس الفقه الشافعى ، له مكانة في (طبقات الشافعية) ألف المختار في علم الحديث والرسالة الكاملية في السيرة النبوية .

ومن علماء العرب بالاندلس ابن رشيد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ) (١١٢٦ - ١١٩٨ م) فقيه مالكى حجة ، ما يزال كتابه في الفقه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) مرجعاً للقضاء والفقه في المذهب والفقه المقارن ، له المؤلفات الشهيرة في الفلسفة ، وكتب في الطب والفلك فهو فيلسوف من طراز عالمى (إسلامى وأوروبى) .

وختم ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) - (١٣٢٢ هـ - ١٤٠٦ هـ) هذه الصفوة المختارة من العلماء في كل المجالات .

ولد ابن خلدون بتونس ، تولى ديوان المظالم مارس الفقه ، وضع كتابه الشهير (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر) . والكتاب يتضمن ثلاثة كتب أولها ما سماه المؤرخون «مقدمة ابن خلدون» يحتوى التفسير الاجتماعى للتاريخ بفلسفته الاقتصادية والإدارية والعمرانية والزمنية والعرفية .

والكتابان الثانى والثالث يشتملان على أخبار العرب حتى القرن

الثامن للهجرة بها في ذلك دول الاسلام في القارات الثلاثة المعروفة حتى ذلك الزمان ، ثم أخبار البربر ودولهم والتعليق على أصولهم .

ويستصحب المؤلف من الباب الثالث من كتابه :

أولاً : ان جدران كلية الطب في باريس ماتزال تزدان بصور الرازي وابن سينا وابن رشد وان أكثر من ذكرناهم فلاسفة ، وإن كانوا كيميائيين أو رياضيين أو أطباء أو فقهاء ومنهم من ولى القضاء وكلهم أصوليون .  
ثانياً : أن في تطبيق المنهج مدارس ثلاث .

( أ ) المدرسة المنطقية التي تجرى الاستنباط من المشاهدات أى بإستقراء ما هو كائن والاعتبار بدليله ، وهذه مدرسة المتكلمين ، تلمع فيها تجارب عملية للجاحظ ، وعلمية لابن طفيل والغزالي الذى جعل نفسه محللاً للتجربة ليتنقل من الشك إلى النظر فالبصر فاليقين ، وابن رشد الذى كان سفير الحمية الفكرية إلى العالم الأوربي .

(ب) مدرسة التجريبيين في الطبيعة الذين يستعملون للاستقراء ملاحظة طبائع الأشياء وخصائصها وتحليلها وتحقيقها واستنباط قوانينها ومبادئها .

وأستاذ هذه المدرسة جابر وتلاميذه الرازي وابن سينا وابن النفيس والبغدادى والتيفاشى والمسعودى وابن خلدون وكثيرون .

(ج) مدرسة التجريبيين الرياضيين الذين يستعملون المراسد والأجهزة والأدلة الحسابية والهندسية ، وقد يخترعون أدوات التجارب لدراسة الطبيعة والفلك ، ومن أساطينها الكندى والخوارزمى وابن الهيثم والبيرونى والقزوينى .

والمدارس الثلاث تجمعها التجربة وتفرق بينها أدواتها أو موضوعاتها

أو أغراضها ، وهذه أيضا هى المدارس التى سبيلها بها عصر النهضة شأوه ولكن على أيدى غير عربية .

وبدأ الباب الرابع بشرح واف عن كيفية انتقال المنهج الإسلامى إلى أوروبا . والمؤلف بأسلوبه الرشيق يقول : وربما كشفت فى كتابنا هذا فقرات فى بيان الطريق إلى ذلك ... ويبدأ بالأندلس ، والأندلس إسم معرب لكلمة «اندالوشيا» وبها تسمى قبائل فندالس VANDALES الذين اجتاحتوا فرنسا واسبانيا ثم هبطوا إلى إفريقية فى زحف القبائل الجرمانية فى القرن الخامس للميلاد . وكما جمل العرب اسم الاقليم اذ عربوه أبدعت العبقريّة الإسلامية فى تزيينه بالحضارة التى حملتها القبائل العربية ، إذ جاءت بعد الفتح تنفياً لظلاله وتنشر من موقعه البديع فى أوروبا أضواء الإسلام وعقيدته وفنونه وعلومه ، حتى انفردت الأندلس بنشر العلم والتمكين للإسلام به فى أوروبا ، فكانت تستقدم الكتب من الشرق ، وتعالى مآذنها فى المساجد وتتعدد وتنوع حلق العلم حول أثر أساطينها حتى صارت العلاقة العلمية تزدد وثاقة أو منافسة بين المشرق العربى والمغرب العربى كلما تقدم العلم .

### ومن الأندلس صقلية :

صقلية وجزر البحر الأبيض ، فقد أصبحت بحيرة قلبية وجزر البحر الأبيض بحيرة إسلامية بدأت سيطرة العرب عليها منذ انتصروا فى واقعة ذات الصوارى سنة ٣٨ للهجرة ... وحملت هذه الامارة شعار الحضارة التى تنتقل من الجنوب إلى قلب أوروبا طوال حكم العرب لها : يقول المستشرق «جوستاف لوبون» : «إن بعض المدن الاسبانية لاسيما اشبيلية ماتزال بيوتها تبنى على طراز إسلامى ، ولا تزال زخارفها والرقص والموسيقى فيها على الطريقة العربية ويشاهد الدم الشرقى فيها بسهولة» .

والشواهد على الواقع العربي تتردد على اللسان في كثير من اللغات ، وما هي إلا أدلة على حضارة متغلغلة في ضمير العالم المعروف ودوله ، لا يجربها تغافل العارف ، فلم تبعث أوروبا من موت ، وإنما صحت من سبات .

لقد كان المسلمون ينشرون العلم في غير المسلمين المقيمين بين أظهرهم أو الوافدين على بلدانهم متمتعين بالحماية التي يحمي بها الاسلام (أهل الذمة) فالرسول ﷺ - يقول - :

«من آذى ذمياً فأنا خصمه» والمسلمون يعترفون بالديانات السماوية ويحترمونها علماءها كاحترام العلماء المسلمين في حين لا يعترف أصحاب الديانات الأخرى بالإسلام .

ويقدر المؤلف فصلاً عن المنهج الجديد «الفرنسي» بـ «يكون» والمناقشات التي دارت حوله وخاصة ما سجله الاستاذ العقاد حول شخصية «يكون» وكليات «المنهج الجديد» .

وأيضاً رأى الشاعر محمد اقبال في كتابه : «إعادة تكون الفكر الديني في الإسلام» ثم يسجل المؤلف أيضاً معالم الدراسة التي قام بها الدكتور محمد موسى للبحث في العلوم الطبيعية والكونية فصلت بحوثها تجارب جابر ابن حيان وابن الهيثم والرازي وابن سينا والبيروني وبينت أثرها العالمي وأبرزت اعتماد بعضها على اصول الفقه ، وتصدت الدراسة لتجارب «فرنسيس بيكون» لتقدير قيمتها في بلوغ النتائج ولخصت أصول منهجه فيما يلي :

١- وجوب اتخاذ طريقة الاستقراء أساساً للتجارب العلمية .

٢- نبذ ما يعرقل البحث العلمي من :

● تغليب العاطفة .

● تأثر الباحث بمركزه العائلي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو ميله الشخصي ويعبر عن هذه المؤثرات بالأصنام الأربعة ، (أوهام الجنس أو القبيلة والكهف والسوق المسرح) .

● عدم الخلط بين الكلمات والألفاظ التي هي واسطة نقل المعاني .

● عدم التثبت بنظريات لا تقوم على أسس منطقية تأذن لها بالاستمرار .

٣- إن كل واقعة لها (صورة) تعينها ، ويمكن رد الواقعة إلى صور متعددة .

٤- إجراء التجارب لمعرفة العلة (الحقيقة) .

وحسبنا ما أورده المؤلف من ملاحظات في تقدير المنهج الجديد لبيكون وهي :

● القدح الجزاف أو الاغفال العمد لتجارب يعرفها لإثنان من معاصريه .

● عدم المعرفة بالقدر الضروري من العلم بما يحدث من الكشف العلمية في عصره أو في القرن الذي ولد فيه ، أو في قرون عشرة نقلت العالم من عصور الظلمات إلى عصر الأحياء وعصر النهضة .

التعصب الديني وقد ورثه من أبويه ، وتغلغل فيه من بيئته والتزامه أفكارا غير متعمقة ، واكتفائه بالقليل الذي يسمعه عن الكثير الذي يجب أن يتعلمه أو اعتناقه أفكارا غير صحيحة .

● الاستقراء المعيب بالمجازفة أو الجهل أو الهوى فيما نسبته إلى العلم عند العرب بعبارات مرسله لا سند لها إلا التعصب .

ولعل ما يؤكد الملاحظات السابقة تلك الدراسات التي قام بها جمع

من المستشرقين بعد «بيكون» .

● فهذا جوستاف في كتابه «تاريخ العرب» يقول : (إن العرب ادركوا بعد لأى أن التجربة والملاحظة خير من أفضل الكتب، ولذلك سبقوا أوروبا إلى هذه الحقيقة التي تغري إلى «بيكون» (فرنسيس) أنه أول من أقام التجربة والاختبار اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة فالمسلمون أسبق إلى نظام التجربة في العلوم)

ولا تنسى المستشرق الألمانية (سيجيريد هونكة) في الأعوام الأخيرة إذ تنعى تعصب المتعصبين فتقول :

«إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية . . وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع من زمن بعيد، ولكن التعصب واختلاف العقائد أعمى عيوننا حتى أننا نقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة فلانجد إشارة للعرب»

وتقول عن دور العلوم العربية «إنها سبة أن يعلم أهل العلم من الأوروبيين أن العرب أصحاب نهضة علمية لم تعرفها الإنسانية من قبل ، وأن هذه النهضة فاقت كثيراً مما تركه اليونان والرومان ولا يقررون أن العرب ظلوا ثمانية قرون طوالاً يشعون على العالم علماً وفناً وأدباً وحضارة، كما أخذوا بيد أوروبا فأخرجوها من الظلمات إلى النور، ونشروا ألوان المدنية أينما ذهبوا ثم تنكر أوروبا على العرب هذا الفضل» .

ودراسات المستشرقين هذه تظهرنا على أن يكون (بيكون) كان قليل المعرفة بتاريخ التجربة التي كان يبشر قوميه بعصرها المقبل ، وأنه يستقرىء أهم حقب التاريخ من زاوية منحرفة .

وليس غلواً مايقوله بعض : إن ما تحقق (للمنهج الجديد) من اشتهاار قد صنعتته مكانة انجلترا السياسية وكشوف رحالها، وإن لم

يعتمدوا على «المنهج الجديد»

وقد يصلح بال بعض ان نختم هذا الباب بتأكيد المستشرق البريطاني (الفريد جيوم) رئيس كلية كلهام بانجلترا في هذا القرن عن احساس تاريخي أو ادراك حدسي أو خفي حين اختتم بحثه في كتاب تراث الاسلام فقال : (ومن العسير، ان لم يكن من المستحيل أن نميز ثقافة قوم تسربت إلى ثقافات أخرى ، وتغلغلت في ميادينها كما يصعب تمييز الماء العذب إذا انصب في الملح الأجاج وسوف نرى عندما تخرج الكتب المودعة في دور الكتب الأوروبية أن تأثير العرب الخالد في حضارة العصور الوسطى ، كان أجل شأنًا ، وأجل خطراً مما عرفناه حتى الآن .

ولعل ما أورد المؤلف من حقائق وملاحظات خاصة ملاحظات المستشرقين الذين جاءوا بعد (بيكون) يصحح بعض أخطاء صاحب (المنهج الجديد) كما يظهر بجلاء أنه ليس بجديد، بل هو بعض من كل سبق به القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان، وعمل به العلماء العرب في كل فنون العلم، وأيضاً ، فهذه الحقائق وتلك الملاحظات هي عناصر خطاب موجه للحاضر والمستقبل معاً بإقتدار المنهج القرآني على إبلاغ الفكر الإنساني أعلى مبالغة .

ولقد آن للمسلمين الذين يتوثبون للتقدم ويتشوقون إلى العلم أن يدركوا أن عندهم مفاتيحه ، وإنهم إذ يعملون به يستردون تقدمهم ولا يستوردونه .

ومن الباب الرابع إلى الخامس الذي يدور حول : - (المنهج في الفقه والمعاملات) .

قدم بعبارة جامعة مانعة يقول ابن تيمية : (كل ما احتاج إليه الناس في معاشهم ولم يكن سببه معصية ، هي ترك واجب أو فعل

محرم ، لم يحرم عليهم) .

### عزيزى القارىء :

تناهت أعمال الفقهاء على مدى التاريخ الإسلامى إلى أبعد حدود الجهود الإنسانية فقدمت للعالم فكرياً تشريعياً لا يمكن أن يضارعه كما أو كيفاً أى فقه مهما تقدم أو تأخر وقدمت الحضارة الإسلامية للتاريخ أئمة في الفكر القانوني أثبتت القرون عجزها على أن تلد نظراء لهم وعلى أيديهم وأيدي كثيرين من تلاميذهم هم أو مخالفيهم بلغ الفقه الإسلامى مبلغ الكمال كما يقول واحد من كبار التلاميذ في مدارسهم (الفيلسوف أبو الوليد بن رشد) في القرن السادس الهجرى : - هذه صناعة الفقه ، والفقه نفسه ، لم (يكمل النظر فيها) إلا في زمن طويل ، ولورام إنسان اليوم من تلقاء نفسه أن يقف على جميع الحجج التى استنبطها النظائر في أهل المذاهب لكان أهلاً أن يضحك منه) .

ويقول ابن الصلاح في القرن السابع : «لقد تمت الشريعة وعلومها وخاض في بحر الحقائق والدقائق علماءؤها حيث لا منطق ولا فلسفة ولا فلاسفة» .

ويقول ابن خلدون في القرن التاسع : (ان العلوم الشرعية التقليدية قد نفقت أسواقها في هذه الملة «بما لا مزيد عليه» وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التى لا شىء بعدها) .

والشريعة على ما يقول ابن قيم الجوزية : «مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة كلها ، وكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ومن الرحمة إلى ضدها ومن المصلحة إلى المفسدة ومن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة» وقليل



من التأمل يطرح أمام بصائرنا كليات تهدي إلى فهم الطريقة المثلى في إتباع أصول الفقه وتحقق أغراض الشريعة .

## من خصائص الشريعة :

### أولاً : الواقعية :

أى الاحتفال بها هو كائن ثابت صلاحه وإصلاح ما يتعين إصلاحه .

### ثانياً : الحرية :

وهى مظهر سمو الإسلام بإنسانية الإنسان إذ لا يضعه في موضع الخطيئة أو نتائجها فيزرى به إلا أن يخطىء بالفعل قال تعالى : ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ، فما يكذبك بعد بالدين ، أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ . (سورة التين ٤ - ٨)

فهو تعالى يمنحنا الكرامة والسلطة والحرية في مقابل المسؤولية وما أوسع الحريات في الإسلام .

### ثالثاً : الرحمة :

وهى شعار الإسلام يقول الحق تبارك وتعالى لرسوله : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ويقول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - : (إنما أراد الله بهذه الأمة اليسر ولم يرد العسر) .

(خذوا من العمل ما تطيقون) .

(إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) .

## رابعاً: حق العبد وحق الله :

ويتميز التشريع الإسلامي بما يجعله منهاج حياة كاملة لا منهاج تفكير مجرد ، وبهذا يحتفظ للقيم العالية لا منهاج تفكير مجرد ، وبهذا يحتفظ للقيم العالية بالتطبيق اليومي الجماعي والفردى وهذا ما يلاحظه الشاطبي من أن كل حكم شرعى لا يخلو من حق الله فعبادته امتثال أمره واجتناب معاصيه وما يقال : أنه حق خالص للعبد .

ليس كذلك ، وإن كان حق غالباً مراعاة للأحكام الدنيوية والحقان متلازمان .

## خامساً : الاقتدار على التطور :

اتسعت دائرة الفقه ومصادره بتعدد المدارس وتنوع الآراء وحرية الاجتهاد والاختلاف وكان اقتداره على التطور مع تطور الحياة معلماً من معالمة يؤكد حيويته وشموله ... وحسبنا بعض أمثال .

- اختيار ولى الأمر أو الامامة .
- السياسة الشرعية المجتمع .
- الأسرة (خاصة الطلاق) .
- الحدود .
- الادارة .
- القضاء .
- المسئولية المدنية .

ومن خصائص الشريعة إلى مدارس الفقه : فقد حكمت الكليات التى أسلفناها عمل الفقهاء والقضاء كافة ، وتناجحت من أصول الفقه طرائق عملت بها المذاهب الأربعة لأهل السنة ، واتسم كل منها بطابع خاص فى العمل بالأصول لكنها كلها مذاهب فى الاجتهاد عند عدم

وجود النص ، والنظرة الفاحصة إليها تكفي لبيان التزامها في عملها بالمنهج لبلوغ أغراض الشارع .

- مدرسة المدينة أو الفقه العملي .
- مدرسة الكوفة أو مدرسة الرأي .
- مدرسة مكة .
- مدرسة أحمد بن حنبل .
- مدرسة المحدثين .

وكان المنهج في المعاملات هو الفصل الثاني الباب الخامس من أبواب الكتاب .

التزم المسلمون في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية معانى القرآن وخصائص شريعته ، فقامت المعاملات على التراضى الكامل وسلمت من عيوب الرضا ، ومن الحرام والربا والقهر والمقامرة والغرر ووطورت الحاجات العملية الفقه وطورها فتجاريا في رفع مستوى التعامل ، وشارك الفقهاء (بالعمل) والتطبيق فوجدنا العمال الفقهاء ، والفقهاء العاملين بأنفسهم أو بأموالهم ونتجت من ذلك حياة اقتصادية جديدة بالمسلمين ، إذا نظرت إليها من خلال القرون برزت لك قواعد ثلاث :

القاعدة الأولى : مردها إلى واجب العمل .

القاعدة الثانية : مردها إلى الغريزة الإنسانية وهي (ان الملك واحد من الحريات الطبيعية) .

القاعدة الثالثة : مردها إلى حاجة الإنسان إلى مجتمعه لله وهي تضامن الجماعة ... وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ .

ويقول الرسول الأعظم - صلوات الله وسلامه عليه - (المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً) .

وهكذا فجماع أمر الادارة الإسلامية مالية كانت أو سياسية أو اجتماعية قد عبر عنه طاهر بن الحسين في وصية لابنه عبد الله إذ ولى خراسان في عهد المأمون فقال : «وليكن كثر خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله» .

### عزيز القاسم :

ردد معى قول الإمام على - رضى الله تعالى عنه - (إن أفضل قرة عين الولاية استفاضة العدل في البلاد بظهوره في مودة الرعية) .

بهذه الكلمات المضيئة صدر المؤلف الباب السادس والأخير من كتابه الذى يدور حول المنهج فى القضاء .

والقضاء فى الأمة - كالعدسة المكبرة لما وراءها ، ولذلك يقول المعاصرون : - «انظر كيف تصدر الأحكام فى أمة تعرف مقدار حضارتها» والعدل أساس فى العقيدة الإسلامية إذ هو صفة من صفات الخالق سبحانه وتعالى فشريعته شريعة العدل الكامل ، وعلى هذا الأساس قضى رسول الله - ﷺ - وقضى صحبه وقال المسلمون : «القضاء تلو النبوة» .

والتاريخ يحاكم «الأحكام» كما يحاكم الحكام ، فيشهد للقاضى وللقاعد القانونى التى يطبقها أو يشهد ضدها ، والتاريخ ينطق على لسان المسلمين حين يصفون العدل فى أعلى درجاته فيقول : عدل عمر .

لهذا عرض المؤلف جوانب من عهد سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه - فى القضاء وأيضاً تبعه بعهد أمير المؤمنين سيدنا على - رضى الله

تعالى عنه - ليعرف القارىء كيف طبقت شريعة الإسلام شريعة الحق تبارك وتعالى .

### عزيزى القارئ ، :

وأنا أقف معك على آخر عتبات هذا الصرح الفكرى فإننى أدعوك أن تقرأ هذا الكتاب مرة بل مرات لتعرف مدى قيمة العمل المخلص فى سبيل الإسلام ، بل الجهد الذى لا يقدر عليه إلا عالم أهل لهذا النوع من الدراسة الواعية الهادفة التى تضع النقاط فوق الحروف ... وليعرف شباب اليوم والغد إنها هى أضغاث أحلام أن يستسلم لما يسمى بالغزو الفكرى للأمة الإسلامية ... فالقرآن الكريم كتاب الله الجامع ، ومنهج الإسلام والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ﴿ لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ ... صدق الله العظيم .

**المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء.**



### عزيزي القارئ :

ليس أفضل من وقت تقضيه مع مبحث من مباحث كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

لم تترك كلمات الحق تبارك وتعالى شيئاً أو أمراً أصغر أو أكبر من أمور ديننا ودنيانا إلا وحددت معالمه تحديداً يعجز البشر عنه جميعاً إلى قيام الساعة ، فعلم الله أكبر وذاته أعظم وقدرته فوق كل القدرات ، فهو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى .

« تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا » .

(صدق رسول الله)

مع نفحة من نفحات الرحمن مع : « المجتمع الإسلامي كما تصور سورة النساء » كتاب شيق لعالم إسلامي جليل هو المرحوم الشيخ / محمد محمد المدني طيب الله ثراه دعنا أولاً نوجز ما جاء بين دفتي الكتاب قبل ان نعرض لمباحثه :

سورة النساء هي السورة الرابعة في ترتيب المصحف ، أما في ترتيب التزول فأصبح ما ذكر أنها سادسة السور التي نزلت بالمدينة المنورة ، وقد انعقد الاجماع على هذا الترتيب العثماني المتلقى عن رسول الله - صلوات



الله وسلام عليه - ولكن هذا لا يمنع الباحثين من أن يسترشدوا بتاريخ النزول وأسبابه توصلاً إلى ما يفيد الحقيقة في مختلف بحوثهم فإن في معرفة هذا علماً كثيراً ، وفوائد جمة ، وعلى هذا فلا بد من معرفة البيئة المعنوية التي نزلت فيها السورة الكريمة حتى ندرك الرابطة بين موضوعاتها وموضوعات البيئة التي نزلت فيها . وقد سميت السورة بسورة النساء وقد يطلق عليها «سورة النساء الكبرى» أو «سورة النساء الطوالى» تمييزاً لها عن سورة أخرى من سور القرآن الكريم هي سورة «الطلاق» إنها تسمى أيضاً «سورة النساء الصغرى» وهذه السورة الكريمة مدنية تتجلى فيها كل الخصائص التي اختصت بها السورة المدنية ، وقد اهتمت كثيراً بما يتعلق بتنظيم جماعة المسلمين داخل بلادهم ، وفي علاقتهم الاجتماعية بعضهم مع بعض ، وفي وضع أسس الحكم الصالح الذى يجب أن تقوم عليه دولتهم ، وفن وجوب الحذر من الذين يريدون أن يزلزلوا عليهم هذه الدولة أما عن طريق تشكيكهم في مبادئ الدين ومثله وتشريعاته ، وإما عن طريق القوة المادية وإثارة الحرب بنوعها للذين عرفناهما في زماننا الحاضر بالحرب الحامية ، والحرب الباردة .

وتبدأ السورة بتقرير المبدأ الأول الذى يجب أن تقوم عليه المجتمعات أيأ كانت ، وهو أن الناس جميعاً متساوون في الخلق من نفس واحدة خلقها الله تعالى ، وبعد أن صورت السورة هذا المبدأ الأول ، أخذت تتحدث عن العناصر واللبات المكونة لبناء المجتمع ، وبدأت في ذلك بأضعف هذه العناصر وأحوج هذه اللبات إلى الرعاية والتقوية وهم اليتامى والسفهاء والنساء .

بعد ذلك اهتمت السورة بتشريع واضح مفصل في شأن هام من شئون المجتمع وهو نظام الموارث ، وعرضت السورة بعد ذلك للجريمتين من الجرائم الخلقية من شأنهما أن تفسدا المجتمع إفساداً شديداً وذلك في

قوله تعالى : ﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم﴾ وهذه ناحية والناحية الثانية هي «التوبة» .

بعد ذلك عرضت السورة لبعض أحكام الأسرة ، ونظمت بعض العلاقات بين الأزواج والزوجات .

وفي ربيع كامل عرضت السورة بعد ذلك إلى الأسس التى أقامت عليها أول مجتمع إسلامى تحت ظلال الدولة الإسلامية فوضعت له أسس الايمان والخلق والتعاون الجماعى ، حظرت من مفسدات الأمم ما يطيح بها ثم وصفت السورة أساس الحكم الإسلامى فبينت ان ذلك يقوم على أمرين عظيمين هما أداء الأمانات إلى أهلها والعدل بين الناس .

ثم بدأت السورة بعد ذلك تتجه إلى جانب المحافظة على هذا المجتمع الإسلامى وتحذيره من كيد أعدائه المتربصين به .

ثم عرضت السورة للشرك وأوهام المشركين ، واضلال الشيطان لهم وعاقبتهم من الخسران المبين ، وعذاب الجحيم ، ووازنت في هذا الجزء وتلك العاقبة بينهم وبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، ثم تحدثت عن تقوى الله وأنها من الوصايا التى أجمعت عليها جميع الكتب وأنها مما يقضى به المنطق وفهم الأمر على وجهه الصحيح .

بعد هذا أخذت السورة في حديث عن أهل الكتاب «اليهود» فذكرت حقهم في مطالبهم محمداً - ﷺ - أن ينزل عليهم كتاباً من السماء وان لهم في هذا الحق ماضياً ، ثم جاءت السورة بعد ذلك بحديث عن الوحى والرسالة فبينت أن رسالة محمد ليست أول الرسالات ، كما بينت أن الحكمة من إرسال الرسل هى إقامة الحججة على الناس وان الكفر بالرسالات والاعراض عنها لابد أن يوصل الناس إلى جهنم ، ثم ختمت السورة بآية في شأن الميراث أفردتها عن الموضوع الذى ذكرت فيه أحكام

الموارث لحكمة مقصودة . . هذا عرض إجمالي لما تضمنته سورة النساء من الأحكام والمبادئ والوصايا وكلها ذات صلة وثيقة بشأن المجتمع ووضع الأسس التي يجب أن يقوم عليها .

## (المبادئ، والتوجيهات التي أقامت عليها السورة نظام المجتمع)

### ١- المساواة بين الناس :

مما هو ثابت في تاريخ الأمم والشعوب أن الملوك وأصحاب السلطة قد قسموا العالم إلى طبقات ، وقد استمر هذا النظام الطبقي في أوروبا وكانت فرنسا قبل ثورتها مظهراً من أشنع مظاهره ففيها طائفة النبلاء وطائفة الأجراء ، أضف إلى ذلك نظرة الأوربيين إلى غير الأوربيين فقد كانت ، وما زالت إلى اليوم نظرة ازدراء وتعصب ، وكان من آثار هذا المبدأ أن كانوا يحاربون الشرق بأسلحة وثنية لا يحاربون بها في الغرب ، وفي جانب آخر من جوانب هذه الطبقة أو هذه العصبية نرى موقف هذه المراتيات والحضارات المخالفة للإسلام من المرأة بصور لونا من ألوان الظلم والاساءة من الإنسان إلى أخيه الإنسان ، ومحدثنا التاريخ أن المرأة كانت تلاقى من العنت وألوان الشقاء حتى في المجتمعات المتمدينة والبلاد المتحضرة ما لا يلقى الرجل بعضه .

هذا بلا شك مبدأ مناف للطبيعة مخالف لمقتضى أصل الخلق ولهذا كان الإسلام طبيعياً فطرياً حين قرر مبدأ المساواة بين الناس واهدار الجنس ، وإلغاء الطبقات وعدم الاعتراف بالتفرقة الظالمة بين «الذكورة» و«الأنوثة» في معنى الانسانية المشترك .

وفاتحة سورة النساء تقرر المبدأ الأول الذي لا بد من قيام مجتمع

صالح على أساسه ، وهو مبدأ المساواة أمام الله ، وفي هذا :-

- إلغاء الفوارق الطبقية .
- إلغاء الفوارق الدينية العنصرية .
- إلغاء التفاوت في الوزن الاجتماعي بين الرجل والمرأة .
- غرس للوازع النفسى فى المجتمع .
- إحياء لعاطفة الرحمة .

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن المرأة والرجل قد أصبحا بهذا مستويين حتى فيما تفرض الطبيعة اختلافهما . وإنما الفطرة أكسبت كلا من الجنسين أوضاعاً خاصة .

## ٢- الإيمان بالله وحده :

الحق تبارك وتعالى إله معبود ، ومشرع رحيم عليم حكيم ، والقرآن الكريم يتحدث عن وحدانية الله كمبدأ يجب أن يستقر في المجتمع عملاً بعد أن قامت عليه الأدلة حجة ونظراً ، فالذى يضع الحدود هو الله تعالى ، والذى يجب له الطاعة هو الله تعالى الذى وضع هذه الحدود ، ورسوله الذى بلغ عنه ، والناس إما طائع ملتزم لهذه الحدود فله الجنة والفوز العظيم ، وإما عاص متحد هذه الحدود فله النار والعذاب المهيّن ، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من مشاققة الرسول ﷺ - ومبايئته واتباع غير سبيل المؤمنين . . وسورة النساء تثبت صفات الله تعالى التى تغرس الهيبة والمحبة والرضا فى نفوس المؤمنين ، والقرآن الكريم لا يحشد المبادئ والتشريعات حشداً ، ولا يعنى بأن يجمعها فى نطاق واحد ولا بأن يضم الشبيه منها إلى شبيهه والموضوع فى بعض تفاصيله إلى بعض ولكنه يراوح ويغادى بالموعظة حيناً والقصة حيناً ويذكر طرفاً من الشيء ثم يتركه ثم

يعود إلى اتنامه ، وهكذا حتى لا تسأم النفوس هديه ولا تستثقل حديثه ، وكان هذا سرّاً من أسرار إعجازه .

### ٣- العدل فى الحكم والقضاء والشهادة :

العدل من أهم الأركان التى يقوم عليها المجتمع الصالح ، وقد عنت سورة النساء كما عنى القرآن الكريم فى كثير من السور بأن يقيم المجتمع الإسلامى على أساس العدل القويم الذى لا يعرفه الالتواء ولا يتأثر بالأهواء ، وقد جاءت جميع تعاليم الإسلام متمشية مع العدل ، فكل ما شرعه الله تعالى من أحكام المعاملات ، وقواعد السلوك الاجتماعى ، وتفصيل العلاقة بين المؤمنين بعضهم وبعض ، كل ذلك قام على العدل ، ورمى إلى تحقيقه ، وسورة النساء أسهمت بنصيب واضح فى تقرير مبدأ العدل فى الحكم ، وفى القضاء والشهادة وكل المبادئ والأحكام التى أتت بها يمكن إرجاعها إلى مبدأ العدل ، وسورة النساء تنهى عن ملاحظة عوامل التعصب للنفس أو التحيز للقرابة مما يبعث على تلوين العدل بغير لونه وإعطاء المشهود له ما لا يستحق ، وذلك هو الإخلال بالعدل عن طريق محاباة النفس أو من تميل إليه النفس .

### ٤- التضامن الاجتماعى العام :

فى سورة النساء يأمر الله جل جلاله عباده ان يقيموا مجتمعه على أساسين :

الأول : عبادته وحده لا شريك له فى التوجه والدعاء لا فى التشريع بالتحليل أو التحريم .

الثاني : أن يكونوا متضامنين متكافلين .

وقد أجملت الآيات ما أمرت به في شأن هذا التضامن والتراحم في كلمة جامعة شاملة هي كلمة الاحسان فقالت ﴿وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى﴾ والاحسان مرتبة فوق العدل وقد حذرت السورة المجتمع من مظاهر الأرستقراطية ، وهي الاختيال والفخر والتعالى على الناس ، وفي القرآن الكريم ثناء على الجود والايثار يقابل هذا الذم للشح والأنثرة ، وتذكر الآيات صنف آخر من المختالين وهم اللذين ينفقون أموالهم رثاء الناس ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وعلى هذا الأساس ، وهذا المبدأ الذي هو التضامن والتكافل بين الفرد وشركائه في المجتمع أمر المؤمنين بالقتال في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان .

وجاءت آيات في السورة تبين مشروعية القتال وأهدافه وتقرر أن طاعة الرسول - ﷺ - من طاعة الله لأن الرسول في الحقيقة لا يأتي بشيء من عنده ، وإنما هو مبلغ عن الله سبحانه وقررت الآيات مبدأ الهجرة إذا كانت سيلا إلى العزة والتخلص من الاستضعاف والظلم مع القدرة عليها .

#### ٥ - الآيات المحذرة :

كان للمجتمع الإسلامي بالمدينة اتصال بأنواع من المنافقين ، كانوا يختلفون في أساليب حريمهم للمؤمنين واطلاقهم ، وإن اتفقوا في الغرض وهو القضاء على الإسلام . فكان بالمدينة جماعة يتظاهرون بالإسلام ويبتغون الكفر ، وكان بها اليهود وناهيك بهم وبتاريخهم في الفساد والدس . تحدثت سورة النساء عن كل هذه الأنواع ، وبينت للمسلمين

حقيقة كل نوع ، وأرشدتهم إلى ما يجب عليهم أن يسلكوه معهم من الحذر والاعراض والتجنب فتحدثت عن المخذلين والحرب بالشبه والأضاليل وتزلزل أهل النفاق ، وبواعث النفاق ، وأكدت أن من مظاهر النفاق الاستهزاء بالدين وأوجبت مقاطعة المستهزئين بآيات الله ، وقررت أن من صفات المنافقين الانتهازية والمخادعة والمراعاة وكما تحدثت سورة النساء عن هذا النوع من المنافقين بالمدينة تحدثت عن نوع آخر هم المنافقون من اليهود ، وان النبي - ﷺ - وأصحابه لا قوا منهم كثيراً من العنت ، وطاولوهم كثيراً لعلهم يفيثون إلى ما هو أجدر بهم كأهل كتاب سماوى من مؤازرة النبي وتقبل دعوة الإسلام . ولكنهم ما كانوا يزدادون إلا غرورا وعصيانا حتى حكم الله بحكمه فيهم فأجلوا عن المدينة صاغرين . والتاريخ يدلنا على تمرد هؤلاء وألوان نفاقهم وعتوهم ومحاربتهم للدعوة الإسلامية وارجافهم عليها وعلى رسول الله بألوان باطلهم وقد جاهد المسلمون هذا العدو المداخل لهم المتغلغل في أعماقهم وما كان القرآن يقابل به ترهاتهم ، وشبههم ويفضح به نواياهم السيئة ، ولولا أن الله تعالى أيد رسوله بنصره ، وحى دعوة الحق بفضله ورحمته لكان من الجائز أن يتغير وجه التاريخ عما هو عليه الآن لكن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز :

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ . (سورة التوبة ٣٢)

## ٦- الآيات الموجهة :

وتشارك هذه الآيات كلها في أن لها رسالة في المجتمع واحدة وفي أن لها أسلوباً معيناً من شأنه أن يؤثر تأثيراً قوياً متجدداً منطبقاً على آلاف الحالات في كل مجتمع ، فأما الرسالة الواحدة المشتركة بين هذه الآيات

فهى وضع دوائر ومناهج كلية يرجع إليها الناس فى أهم النواحي التى يدور حولها نشاط المجتمع ، وإن شئت فقل إن هذه الآيات بمثابة منارات تنبعث منها أضواء كاشفة متجددة متحركة تهدى كل من توجه إليها ، وأما أسلوبها الواحد المعين فهو أنها أخرجت كلها مخرج الأمثال التى تعتمد على اللفظ الوجيز والمعنى الواسع والصلاحية للانطباق على كثير من السور .

هذه الآيات قد تجاوزت الستين آية وتتناول كل المبادئ والتوجيهات التى تحدثنا عنها من قبل .

## ٧- الآيات المبشرة :

تعد رسالة الإسلام فى بناء المجتمع رسالة رحمة وتبشير وتخفيف وتيسير لا رسالة قوة ولا تشديد ولا تحجير ولا تزمت وفى سورة النساء نجد آيات تصور أهداف التشريع الإسلامى للمجتمع تصويراً واضحاً رائعاً مثل قوله سبحانه وتعالى :

﴿يريد الله لبيّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً﴾  
(سورة النساء ٢٦ - ٢٨)

﴿والله يدعوا إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾  
(سورة يونس ٢٥)

يتجلى من هذا أن القرآن الكريم يريد للمجتمع أن يكون متمسكاً بأهداف الأمل دائماً لا ييأس من روح الله .

والآيات المبشرات ، فهى تفتح سبعة أبواب للرجاء :-



١- الاعتراف بالحقيقة الواحدة في شأن الإنسان وأنه خلق على حياة وطبيعة تجعله يصيب ويخطئ ويأتى بالخير والشر ويصدر منه الصلاح والفساد وبأنه مخلوق ضعيف لا يمكن أن يحتمل فوق طاقته .

٢- أنه تعالى قد شرع أحكامه على أساس ملاحظة ذلك فجاءت تكاليفه وشرائعه لمعاونة الإنسان والبيان له لا للتحكم فيه ولا للاثقال عليه وجاءت تكاليفه ميسرة مخففة بريئة من التشديد والإعانات والارهاق ، وجاءت معاملته للناس متمشية مع العدل والرحمة والفضل والاحسان . .

٣- إن الله تعالى لا يتقص أجر عامل ولا يبخس أحداً حقه لا في الدنيا ولا في الآخرة .

٤- إن الله تعالى يغفر الصغائر والهئات بمجرد البعد عن الكبائر أى عظام الذنوب .

٥- إن العبد إذا ارتكب الكبيرة لم يقنطه الله من رحمته ، ولم يتركه يحتمل في نفسه مرارة الشعور بأنه مطرود يائس ، ولكنه يدعوه إلى توبة ويطلب منه أن يطرق بابها . ويعده بأن يتقبل توبته الصادقة ولو تكرّر منه الذنب وتكررت من التوبة .

٦- وأنه جل شأنه يرجى عبادة ترجية أخرى اذ ينبئهم أنه هو الغفور الرحيم ، وأنه من حقه أن يغفر لأهل الكبائر ولو ماتوا دون أن يتوبوا ماداموا غير مشركين .

٧- أنه تعالى يضاعف الحسنة فيجعلها عشرة أمثالها ، ثم يضاعف الجزاء لمن يشاء أضعافاً كثيرة لا تقف عند حد .

كل ذلك يحى الأمل ، ويفتح أمام المؤمنين آفاق الرجاء ، ويدفعهم إلى العمل خفياً غير مثقلين بشعور الإثم ، ولا مكبلين

بأغلال اليأس .

كل هذا عزيزي القارىء . . هو المبحث الأول من كتابنا الشيق  
والذى شمل المبادئ والتوجيهات التى أقامت عليها سورة النساء ونظام  
المجتمع الإسلامى .

ومن المبحث الأول إلى المبحث الثانى الذى تناول أهم الأحكام التى  
تضمنتها السورة الكريمة .

## ١- أحكام اليتامى :

عنى القرآن الكريم فى المكية منها والمدنية باليتامى ، ولكننا نستطيع  
أن نقول أن سورة النساء كانت هى أبرز سور القرآن الكريم فى هذا الشأن  
، فقد عنت بالتشريع لليتامى ، وجعلت المجتمع متكافلا فى القيام  
بأموالهم ورعاية شؤونهم ، والتشريع الذى جاءت به السورة فى شأن  
اليتامى يرجع إلى ما يلى :-

١- حفظ أموال اليتامى .

٢- إصلاح هذه الأموال بالقيام عليها وحسن التدبير لها .

٣- الانفاق على اليتامى من أموالهم والعمل على أن يكون الانفاق  
من ربحها وثمراتها لا من أصلها ورأسها .

٤- اصلاح اليتامى من أنفسهم بتربيتهم تربية صالحة قائمة على  
تكريمهم والاعتداد بشخصيتهم وتعليمهم كل ما به يكونون مواطنين  
صالحين وأعضاء فى المجتمع نافعين .

٥- ارتسام النوايا الصالحة فى جميع شئون اليتامى أى الاخلاص لهم  
فى رعاية أموالهم وأخلاقهم ومصالحهم بحيث لا تنطوى النفوس على نية  
اغتيال أموالهم .

٦- الاشهاد عند دفع الأموال إلى اليتامى بعد بلوغهم سن الرشد .

## ٢- تعدد الزوجات :

شرع تعدد الزوجات للرغبة في القيام لليتامى بالقسط ، وتحقيقا لأمر الله ، ورعاية لمصلحة اليتامى أنفسهم وأنه ليس مشرعا لمجرد ارضاء النفس وتحقيق الرغبة في النساء وانه بهذا التفسير ليس غريبا عن موضوع اليتامى ولا دخيلا في أحكامهم ، فإنه ذكر حلا لمشكلة من مشكلاتهم في المجتمع حين تقضى المصلحة بأن يقوم عليهم وصى بالقسط وتقضى الآداب الإسلامية بأن يتخرج الرجل بمن هم أجنبيات عنه ، وأنه يمكن القياس على هذا الفرض بأن يباح التعدد إذا دعا داع إليه ، وأن يقيد التعدد إذا لم يكن له داع يشبه ما ذكره القرآن الكريم من إقامة القسط في شأن اليتامى ، وان هذا كله مشروط مع توخى الغاية الشريفة بأن يأمر الزوج بعدم الجور فإذا خاف الجور وجب عليه ألا يعدد .

## ٣- أحكام المواريث :

نظام المواريث عامة وما اتصل بها من مبادئ استنبطها الفقهاء ومن دلالات على الحجب بالحرمان أو بالنقض ، وعلى درجات القرابة ، أغلب ذلك مأخوذ من سورة النساء .

إن مبدأ تنظيم أحكام الميراث مبنى على مبدأ الاعتراف بحق الإنسان في أن يملك واختصاص قرابة معينة له في أن ينتقل إليها ما يملك بعد موته ، وكلا المبدأين طبيعى ملائم للفطرة ولذلك قررهما الإسلام ، وبنى على أساسهما أحكامه في الملكية والاختصاص والكسب والميراث وما يتصل بذلك كله .

ومن الشرائع الوضعية ما يخالف الإسلام في التفصيل مع موافقته

في مبدأ الملك والتوريث ، وترى فروع هذه المخالفة في الشريعة اليهودية وفي الشرائع القديمة للعرب وفي القانون الروماني والفرنسي .

وللإسلام فيما شرع حكمته وفلسفته وكلها مستندة إلى حكم الطبيعة متمشية مع دواعي الفطرة .

ولو ذهبنا نتبع كل حكم من أحكام الميراث لوجدناه على أساس من الموازنة العادلة بين كل عضو في الأسرة ، وما يؤديه للمجتمع من نفع ، وهذا هو المعنى الذي يشير إليه قوله تعالى في آخر الآية الأولى من آيتي المواريث الأساسيتين : -

﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾  
(سورة النساء - ١١)

#### ٤- جريمتان فاحشتان :

عرضت سورة النساء لجريمتين من أشنع الجرائم التي من شأنها أن تؤدي بالمجتمع إلى فسادها وأن تسلب أعضائه رجالاً ونساء ما لكل منهما من خصائص ، وذلك ما جاء في قوله تعالى : -

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً ، واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنها إن الله كان تواباً رحيمًا﴾ (سورة النساء - ١٥ ، ١٦) أي أن الآية الأولى تقول : ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ﴾ وتقول الآية الثانية ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ﴾ وضعت كل من الآيتين العقوبة المناسبة للجريمة التي تتحدث عنها ، فعقوبة النساء اللاتي يرتكبن هذه الفعلة المنكرة أن يمسكن ويحبسن في البيوت كي يتعبدن عن الجوارح الذي يتمكن

فيه من الاتصال بنساء غيرهن إلى أن يتوفاهن الموت فينتهى بذلك أمرهن ، أما الرجال ﴿اللذان يأتيانها منكم﴾ فعقوبتهم هي الإيذاء وهي عقوبة فوضها الشارع لولى الأمر فله إذا ثبتت الجريمة المنكرة على رجلين أن يؤذيها ، والأذى درجات وللقانون المستمد من هذا التفويض أن ينظمه ويجدده كما تقضى بذلك المصلحة ، وكما يتناسب مع شيوع الجريمة في المجتمع .

## ٥- أحكام التوبة :

التوبة في الأصل : الرجوع ، فإذا رجع الإنسان إلى نفسه وندم على فعل القبيح وعزم على ألا يعود كان تائباً إلى الله راجعاً إليه ، وذلك لأنه حين كان مرتكباً للذنوب كان منصرفاً عن الله أبداً ، والتوبة من العبد إلى الرب جل جلاله إنما هي ارتباط متبادل على الرحمة والحلم من الله والترجى والاسترحام من العبد ، وما دامت هذه الرابطة بين العبد وربه قائمة فإن الأفراد بخير وإلى خير ، والمجتمع بخير وإلى خير .

وينقسم التائبون إلى أصناف -٥-

(أ) المبادرون من قريب . (ب) الموفون حتى يحضرهم الموت

(ج) الذين يموتون متلبسين . (د) المؤمنون إلى حين .

## ٦- أحكام الأسرة :

الأسرة هي المجتمع الصغير الذي يتربى فيه الإنسان ، وينشأ من أول عهده في الحياة في أحضانه ينطبع بطابعه ، ويرى الأشياء بعينه ، وهذا المعنى يقرره القرآن الكريم حيث يقول : ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا إلا يخرج نكداً﴾ (سورة الأعراف - ٥٨)

لم تقتصر سورة النساء على معالجة شئون الأسرة من ناحية الزوجية ولكنها بدأت من الأساس فأمرت بإنصاف اليتامى والنساء بإعتبارهم أضغاف أفراد الأسرة .

أما أحكام الأسرة من ناحية الزوجية فإننا نجد أول ما عنت به السورة من ذلك هو وجوب إعطاء النساء مهرهن ، كما عنت سورة النساء بحماية الأسرة من الرذيلة ، وعنت بحماية المرأة من أن تتعرض بعد موت زوجها إلى ظلم ذوى قرباه ، وعنت السورة بحماية الزوجات من أن يفضلن أزواجهن بغير مبرر ، وعنت السورة بالحياة الزوجية من حيث حسن المعاشرة فأوجب الله معاشرته النساء بالمعروف وبين أن عاطفة الحب أو الكره ليستا دائماً أمارة على المستقبل السعيد أو الشقى ، وتتلخص الأحكام التى جاءت بها هذه الآيات فيما يلى :-

١- على الرجل ان يعاشر زوجته بالمعروف .

٢- على المرأة أن تطيع زوجها وتخضع لرياسته ، وأن تحفظ كل ما أمر الله بحفظه فى نفسها وبيت زوجها فقد جعلها الله أمينة على ذلك .

٣- على الرجال والنساء كليهما أن يرضخا لحكم الله فى تهيئة كل منهما على الوضع المناسب للمقصود منه فلا يتطلع النساء إلى ما خص الله به الرجال وجعلهم مفضلين فيه ، ولا يتطيع الرجال إلى ما خص الله به النساء وجعلهن مفضلات فيه .

وقد عالجت السورة أحوال الخلاف بين الزوجين مثل نشوز المرأة ، وكيف أنه يعالج بالموعظة أولاً والهجر فى المضاجع ثانياً والضرب ثالثاً ، كما عالجت السورة أيضاً حالة الشقاق بين الزوجين .

وبينت السورة المحرمات من النساء ، وبيان الحكمة فى تحريمهن

ويرشدنا الله إلى أن نختار الزوجات من البيئات الصالحة التى تغلب فيها العفة والحصانة ولا ننسى الاحتياط والحذر إذا اضطررنا إلى أن نتزوج من بيئات يغلب عليها التحلل وعدم التحفظ حتى لا تندفع دون تبصر ، وفى هذا أيضا توجيه للنساء أن يتكملن وأن يعتصمن بأخلاق الشرف والتقوى والعفة .

## ٧- قاعدة التعامل المالى :

يقول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (سورة النساء - ٢٩)

إن الله تعالى يجعل قاعدة التعامل العامة فى المجتمع هى التبادل الذى قوم على التعادل والتقابل ، وإن يستثنى من هذا العموم حالة التعامل على وجه التجارة - التى هى من مال وعمل - فيبيح أن يكون هناك ربح لا مقابل له من عمل أو مال ، وأنه لا يقيد الإباحة فى هذا إلا بقيد واحد فهو أن يكون التعامل عن تراض من المتعاملين وأن ما وراء ذلك من القيود والشروط يجب أن يكون موضع النظر والدرس .

## ٨- أركان الإيمان والعقيدة الصحيحة :

لا يمكن أن يكون مجتمع من المجتمعات مؤلف من صنف واحد من الناس هم جميعا على شاكلة واحدة فى التفكير ، وعلى مبدأ واحد فى العقيدة الدينية ، ولكن المجتمعات الطبيعية هى التى تكون موطن متسا لكل منهج من مناهج التفكير ، والمجتمع الإسلامى فى المدينة فى عهد الرسول كان مجتمعا طابعه العام هو العقائد والمبادئ والأفكار التى جاء

بها الاسلام ، لكنه كان مع ذلك مجتمعاً مشتركاً يضم فريقاً كبيراً من اليهود لهم دينهم وتقاليدهم ويضم أفراداً من النصارى وكان على الإسلام ان يضع السياسة التوجيهية لهذا المجتمع لذلك نرى سورة النساء فى هذا الجانب تبين موقف الإسلام ببيان واضحاً يجد فيه كل فرد من أفراد المجتمع دعوة موجهة إليه يتدبرها فى نفسه وعقله ويحدد أمامها موقفه حراً مختاراً .

جاء فى السورة الكريمة أصول الايمان فى كل دين هى :-

١- الايمان بالله .

٢- الايمان بالرسول .

٣- الايمان بجميع الكتب المنزلة .

٤- الايمان بعالم الغيب .

٥- الايمان باليوم الآخر .

وهكذا - عزيزى القارئ نأتى إلى نهاية جولتنا مع معلم من المعالم الإسلامية التى تزخر بالعديد من الدراسات فى كل المجالات وخير ختام قول الحق تبارك وتعالى فى سورة النساء :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ .  
(سورة النساء - ١٧٤ ، ١٧٥)





الإسلام والحياة



إن الخير في الاستمساك بالإسلام عقيدته وشريعته وأخلاقه وآدابه ومثله العليا .

● الإسلام يعنى عناية دقيقة بالفرد والمجتمع والأمة وعلاقاتها بغيرها على أساس من النصفة والعدل .

● مشرق نور الإسلام ، والحاجة الدائمة إليه ، والتدين به . فهو الطريق الوحيد للسلام العالمى والسعادة الإنسانية .

● العقيدة وأثرها في الإنسان وبناء الأمة ، وفي تحقيق حياة العز والكرامة .

● التشريع الإسلامى سنة الرسول ومكانتها ، مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية .

● المرأة والأسرة في الإسلام ، الوطن الإسلامى وخطر تعدده ، صور بشرية لكثير من الناس في القرآن الكريم .

● توجيهات من كتاب الله وسنة رسوله .

تلك بعض الأهداف التى قصدها كتاب «الإسلام والحياة» للدكتور/ محمد يوسف مرسى ... هى أهداف فى جملتها تشكل الاطار العام للدعوة الإسلامية ، وعلاقتها بالحياة التى نعيشها ولا بد لنا ونحن

فى هذا الصدد أن نقف وقفات نستشعر منها الهدى والهداية .

وأول ما يطالعنا قضية عامة هى : «أنه لا غنى عن الدين الحق وهو الإسلام» جعلها المؤلف بداية يدخل تحتها موضوعات عدة تعالج كل منها بأسلوب سهل شيق .

## ●● لابد من الدين :

الدين الحق ... نظام إلهى يرشد إلى الحق فى الاعتقاد ، والخير فى السلوك والمعاملات وهو لهذا يكون العامل الأول لنجاح متبعيه فى هذه الحياة ولسعادتهم أيضاً فيما بعد فى الدار الأخرى وعاطفة التدين أو الاعتقاد بدين من الأديان ، أمر غريزى ومشارك بين الناس عامة فى كل عصر ومكان فإنه لم تخل جماعة من الناس فى أى زمان من عقيدة دينية على نحو ما .

وإذا كان الدين والتدين هكذا أمراً غريزياً وفطرياً فى الإنسان فى كل زمان ، فإن الدين الإسلامى هو الدين الحق الذى رضىه الله تعالى للناس جميعاً ، وأرسل به خاتم الأنبياء والمرسلين هدى ونوراً للعالمين ، وجعل القرآن كتابه الأول فرقانا من الحق والباطل فى الاعتقاد والعمل على السواء . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعتنا من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ .

## مشرق النور :

لم يترك الله سبحانه وتعالى أمة من الأمم فى الأزمان الماضية من غير أن يرسل إليها من يرشدها إلى الحق والطريق المستقيم ، حتى كانت أخيراً رسالة سيدنا موسى ، ومن بعدها رسالة سيدنا عيسى عليهما السلام .

ولما أن درست آثار كل من هاتين الرسالتين أو كادت وأصبحت الإنسانية مستعدة لقبول دين جديد عالمي ، يكون خاتم الرسالات الإلهية السابقة ، أشرق النور الذي عم أرجاء العالم كله ، والناس جميعاً ، وذلك هو رسالة الإسلام التي اصطفى الله لحملها خيرة أنبيائه ورسله وهو سيدنا محمد - ﷺ -

●● كان العرب أهل محامد ، وتقاليد طيبة لكنهم مع ذلك كانوا - إلا من عصم الله - عبدة أوثان وأصنام يقولون : ﴿ مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ .

وقد بلغ من إسرافهم على أنفسهم في هذه الناحية أنه كان لكل قبيلة أو بلد صنم خاص بهم يعبدونه ، بل ربما كان للبيت الواحد صنم خاص بأهله .

●● وكان الضلال في الفرس عاماً شاملاً لكل شؤون الحياة في العقيدة والأخلاق والمجتمع والعلاقة بين الحاكم والرعية .

كما كانت بلاد الفرس هذه أيضاً مهداً لديانات كثيرة يجمع بين نحلها المختلفة في التفاصيل القول بالهين إثنين ، أحدهما إله الخير والنور ويسمى «يزدان» والثاني إله الشر والظلمة ويسمى «أهرمن» .

وهذه الأديان والنحل المتعددة كانت سبباً لشر كثير أصحاب الدولة الفارسية أفراداً وجماعات .

●● وكان الدين السائد في بلاد الروم ، وما يتبعها من الأقطار والولايات المختلفة والشام ومصر هو المسيحية السمحة التي تدعو إلى الله واحد ليس المسيح - عليه السلام - إلا كلمته ورسوله ، وإلى المحبة وما يكون عنها من تعاون وصفح مغفرة ، لكن هذا الدين السماوي قد

استحال على أيدي الخارجين من أصحابه إلى دين معقد من العسير فهمه ، وذلك بما أضيف إليه من آراء باطلة وشعائر عسير إدراكها إن لم يكن ذلك من المستحيل ، وكان هذا الانحراف أيضاً مصدر بلاء وشر كثير .

وهكذا كان العالم كله في حاجة إلى إنقاذ عاجل بدين سماوي جديد . . إذ كان الحال على درجة كبيرة من فساد العقيدة ، ومن الفوضى في المجتمع ، والانحلال في الأخلاق كان هذا الإنقاذ بإشراق نور الإسلام آخر الرسالات الإلهية ، وأن يكون رسوله المصطفى خاتم الأنبياء والمرسلين .

### الحاجة إلى التدين بالإسلام :

الإسلام هو دين الوحدة الدينية والسياسية والاجتماعية ، وهو على هذا الدين الفطرة السليمة ودين العقل والوضوح ، ودين الحرية والإخاء والمساواة إلى آخر الخصائص التي يتميز بها هذا الدين الخفيف من غيره من الأديان الأخرى ، ولكن مع هذا كله فلأن الأمر الجدير بالنظر والتقدير هو التدين بالدين والعمل به لا مجرد الإنتساب إليه ، فإن كل دين سماوي فيه هدى ونور ، إلا أن هذه الأديان السماوية قد نالها الكثير من التحريف والتبديل من أجل ذلك كان لابد من دين جديد فيه من التشريعات والنظم ما يناسب البشرية في كل عصر وكان الإسلام هو هذا الدين الذي وفق بذلك كله فانتسح انتشاره وحسن تقبل الناس له فخرجوا من الظلمات إلى النور ، من الضلال إلى الهدى ، والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم .

### ●● شمول الإسلام لكل شؤون الحياة :

الحياة سعي وعمل ، وكفاح وجهاد في سبيل العيش الكريم ، والحق والبر ، للفرد والمجتمع على السواء ، بل للإنسانية عامة .

والدين الإسلامي جاء مصداقاً لذلك كله فهو يعني أشد العناية بشؤون الدنيا وشؤون الآخرة معاً ، ففي القول المأثور : «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» ولذلك نراه لا يأمر متبعيه بإطراح الحياة الدنيا ، بل يحثهم على العمل ، والعمل دائماً وعلى الإفادة من الأرض وما فوقها وما تحتها ، ومن سائر ما خلق الله وسخره للإنسان يقول سبحانه وتعالى : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾ «تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً» .

وبجانب هذا نجد الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - كان قدوة في العمل لأصحابه من المهاجرين والأنصار ، فكان يشركهم في كل عمل تدعو إليه المصلحة ، وكذلك كان حاثاً بأقواله على الجد والعمل ، مبيناً أنه أمر شريف وواجب على الجميع ، وأن الكسل وسؤال الناس أمر لا يتفق وعزة الإنسان وكرامته .

يقول - ﷺ - «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه» .

ولعناية الإسلام بالدنيا والآخرة معاً - وبالفرد والمجتمع وبالأمة والعالم ، الإنسانية كلها نراه يعني بالتشريعات والنظم التي تنظم العبادات والمعاملات وشؤون الحكم ، ويهتم بالأداب التي ينبغي أن تسود العلاقات بين الناس في كل حال فهو لذلك كله شامل لشؤون الدين والدنيا والأمة والدولة في علاقاتها مع الدول الأخرى .

## ●● الإسلام والإنسان :

الإيمان بدين ما حاجة من حاجات النفس البشرية متى كانت على فطرتها السليمة لا بد من تليتها ، بل لعله يكون في طبيعته غريزة لا بد من



أن نجد لها مظهراً ومتنفساً وذلك لأن الإنسان طلق بطبعه .

والإسلام هو الدين الحق ، خاتم الرسالات السماوية والشرائع الإلهية ، وبه تمت نعمة الله على الإنسان جميعها فهو - أي الإسلام - يعترف بالواقع حين اعترف بنظام الطبقات الإجتماعية ولكنة في الحقوق والواجبات على اختلاف ضروبها وأنواعها بين الفقير والغني ، وبين الضعيف والقوي ، ثم بعد هذه التسوية ، فرض في أموال الأغنياء القادرين حقوقاً للفقراء والمحتاجين ، وذلك بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

ولم يجعل الدين الإسلامي للغني فضلاً بسبب غناه ، ولا للشريف ميزة لنباله مولده بل وسع الجميع عدله ورحمته وانتصف من القوى للضعيف ، وأخذ من الغني للفقير وحث الجميع على أن يعيشوا إخواناً تؤلف المحبة بين قلوبهم ، ويؤكد التعاون في السراء والضراء ما بينهم من وشائج وصلات وذلك لأنهم جميعاً لآدم ، وآدم من تراب وما هو ذا القرآن الكريم يقول :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ .

كما يقول الرسول - ﷺ - : «كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» .

## ●● العقيدة وأثرها في بناء الأمم :

لعظمة الأمة وصلاحياتها للحياة الكريمة المجيدة مقاييس مختلفة . ولعل أول هذه المقاييس ، أن تكون على عقيدة حقة فيما تريده

وتعمل له سواء في الدين أو الإجتماع أو السياسة لأن الإعتقاد في شيء ما حاجة من حاجات النفس لابد من تليتها ، وهي بعد ذلك قوة دافعة إلى الأمام لا يقف شيء أمامها متى كانت صادقة خالصة لا يشوبها نفاق أو انحراف .

وإذا كانت العقائد التي تهيمن على القلوب ، ويكون لها السلطان على النفوس فإن أعلاها بلا ريب العقيدة الدينية في الله الواحد الأحد ، في الله الذي وعد عباده المؤمنون به - حق الإيمان - عز الدنيا وسعادة الآخرة .

والإنحراف عن العقيدة له آثار سيئة وخطيرة في عقيدة الفرد وحياته وفي حاضر الأمة ومستقبلها . ولقد وعي الإسلام - ذلك الدين القيم - بكل هذا وذاك فاتى بعقيدة وشرعة ، ودين ودولة معاً .

## ●● القيم الروحية وأثرها في الحياة :

الدين الحق يعرف لكل من الجسم والروح حقه ، ويوحى إلى الإنسان أن يعمل على الا يطغى أحدهما على الآخر ، وهكذا شأن الإسلام لم يغفل شأن الجسم أو الروح فلم يجعل الرهبانية سنة من سنته ، ولا فضيلة من فضائله ، كما لا يرضى لأحد من أبنائه أن ينال من لذائذ الحياة ما شاء له الجشع والشره ، إنما أمرنا أن نعيش في قصد واعتدال ، وأن يكون أمرنا قواماً بين الإفراط والتفريط وفي ذلك يقول القرآن الكريم في صفات المؤمنين : ﴿والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواماً﴾ ، ﴿قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ . ولعل «الإيمان» بكل ما تتسع له هذه الكلمة من معان ومدلولات عمدة القيم الروحية جميعها فمتى ملأ القلب ، واستقر في

النفس يكون أصل الخير ومنبعه ومعين الرحمة والقوة والعدل والوفاء والإحسان ، والإخاء والتعاون والصدق والشجاعة والكرم والإيثار محبة الغير والإنسانية كلها ، إلى غير ذلك كله من جميل الصفات وكريم الأخلاق .

## ●● الإسلام والعلم :

من الثابت الذي لا ريب فيه أن الإسلام هو دين العقل والعلم ، والسبب في هذا أن القرآن يحث على العلم وطلب المعرفة بكل سبيل .

ولقد كان من أول ما أنزل الله تعالى على رسوله المصطفى ، معلماً ، وهادياً للبشرية كلها قوله جل ذكره : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾ كذلك أرشدنا القرآن في كثير جداً من آياته أن العمل بكل ما نستطيع للوصول إلى علم ما لم نعلم يقول تعالى :

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون﴾

﴿وقل رب زدني علماً﴾ .

كان من أثر دعوة الإسلام بقوة إلى طلب المعرفة والعلم بكل سبيل ، أن أقبل العرب والمسلمون على طلب العلم بعجد ، وإن استوعبوا فلسفة القدامى وعلومهم وأن أضافوا كثيراً إلى ما أخذوه عن هؤلاء القدامى ، وإن نبغوا في هذه النواحي نبوغاً منقطع النظير .

## ●● الإسلام والحياة المثالية :

إذا كان الله تعالى يريد القوة والعزة للمؤمن الحق ، العامل بما جاء

به القرآن ، بما دعا إليه الرسول فإنه سبحانه يدعو إلى أن يطلب معالي الأمور ويترك سفاسفها كما جاء في الأثر : «إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفاسفها» .

ومن ثم ليس لأحد منا أن يرضى لنفسه بالمتزلة الدون في الحياة ، وعليه أن ينأى بها عن مواطن الذلة والصغار ، كما أن عليه أيضاً أن يطلب دائماً بجده وعمله منزلة أعلى من التي يكون فيها ويستخدم في ذلك ما يملك من قوى الجسم والعقل والنفس والروح ، بهذا يصون كرامته ويرفع قدر نفسه ، وفي ذلك الخير كل الخير لنفسه وأمته .

وفي غزوة (بدر) ومقدماتها مثل رائعة لطلب المؤمنون معالي الأمور ، وإن لقوا في سبيلها أذى وضراً شديدين ، فهذا الرسول يستشير أصحابه من المهاجرين والأنصار ، حين بلغه أن قريشاً ألفت إليهم بأفلاذ أكبادهم وجاءت إلى ماء (بدر) بخيلها ورجالها يتحرشون بالمؤمنين ، فقام من كبارهم من طمأن الرسول إلى أنهم ينصرونه في كل حال ، ولن يقبلوا الدنية في دينهم وأنفسهم وكان من كلام زعيم الأنصار سيدنا سعد بن معاذ في هذا المقام للرسول عليه الصلاة والسلام :

«لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، واعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، انا صبر في الحق ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله» .

فسر النبي - ﷺ - ونشطه ذلك ثم قال : «سيروا وابتشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن انظر إلى مصارع القوم» .

تلك مثل قوي الأثر والدلالة على مبلغ حث الإسلام على طلب معالي الأمور ونموذج رفيع في حياة الأفراد والجماعات وفي كل ما يعالجون من أمور وما يفعلون أو يدعون من أعمال .

وما أن ينتهي الأستاذ من عرض موضوعات ماهية الدين الحق وهو الإسلام حتى يبدأ في معالجة جانب عام من الجوانب الأخلاقية التي تشكل العلاقة بين الفرد ومجتمعه في ظل الإسلام ، التي من أهمها .

## ●● الإحسان في القول والعمل :

إن الكلمة الطيبة يجيء بها قائلها في موضعها تفعل فعل السحر ، وتحدث أكبر الأثر وتكون لها العاقبة المحمودة في النفوس وبخاصة النفوس الكريمة العنصر التي لا تحمل الضغن ولا تصر على الحقد .

ها هو ذا الرسول - ﷺ - وقد ظفر بالمشركين ، ودخل مكة عام الفتح يقول لصناديد قريش : « ماتظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيراً ، أخ كريم ، فما كان إلا أن قال : « إذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وفي الخصومة والجدل ، تفعل الكلمة الطيبة فعلها المحمود ، وربما كانت المجادلة بالحسنى أقرب إلى الإقناع والوصول إلى الحق يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

وقد كان الرسول في هذا مضرب المثل سواء مع صحابته الأكرمين ، أو مع خصومه المشركين وأهل الكتاب المعاندين ، وفي هذا يقول الله جل ذكره :

﴿فبها رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ .

لذا كله كان علينا أن نتقي الله في كل ما نقول وما نعمل ، بأن نحسن ما نتناوله في مختلف شؤون حياتنا وأن نترث حتى يأتي ما نفعل على أحسن وجه ، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله ، ويحب المحسنين .

### ●● القصد والإعتدال :

نادت الأديان كلها ، وصدع فلاسفة الأخلاق منذ أقدم الأزمان بأن الخير في الوسط من الأمور ، وفي القصد والإعتدال في كل شؤون الحياة ومطالب الجسد والنفس .

ولقد حرص القرآن الحرص كله على تثبيت هذا المعنى في قلوب أبنائه في شتى شؤون الحياة ، سواء ما تعلق منها بالجسد ورغباته وإرضاء مطالبه ، أو ما يتصل بالمال وجمعه وانفاقه أو ما يرتبط بالنفس وكبت غرائزها ، أو تركها تسير مع هواها .

فالقرآن الكريم يقول : ﴿يا بني آدم خذوا زيتكم عند كل مسجد ، واكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ .

وليس الإسراف في المال هو المذموم وحده خلقاً وشرعاً ، بل كذلك الإسراف في الوقت . . . . . وإن مما يعين على القصد والإعتدال في الوقت تنظيمه وتقسيمه قسمة عادلة ، فجزء منه للعمل وجزء للعبادة ، وثالث لصلة الرحم ، ورابع للراحة والاستجمام ليستطيع الإنسان استئناف العمل ، وهو عليه قادر والشوق إليه شديد .

والقصد والإعتدال مطلوبان أيضاً في جهة الخير التي لا شك في أنها خير ، وهي عبادة الله لشكر ما أنعم به علينا من نعم لا سبيل إلى إحصائها وحصرها ، وذلك بأنه قد يؤدي التشديد والإفراط في العبادة إلى الإضرار بالجسد ، فيعجز الإنسان عن العبادة أو تثقل آخر الأمر على النفس فيكون من ذلك الكسل والتراخي والميل إلى ناحية التفریط .

وهكذا فالقصد والإعتدال في كل شيء حتى في العبادة سبيل النجاح والوصول إلى المطلوب .

## ●● الرجاء والخوف :

يفتح القرآن الكريم أمام المؤمنين به باب الرجاء والأمل على مصراعيه ، وينادي بأن الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، سواء في هذا العمل للدنيا والعمل للآخرة ، والقرآن يفهمنا بصراحة لا لبس فيها أنه لا يتفق اليأس مع الإيمان بالله القادر الذي ينجح من يعمل ولا يكفني بالأمانى يقول تعالى :

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ .

وجاء في الحديث القدسي : «أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا ذكرني» . وما ينبغي أن يفرط المسلم في الرجاء وطول الأمل والتمني بغير حق فالرسول - ﷺ - يقول في بعض ما روى عنه : «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى» .

كما يقول أيضاً : «إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان : إتباع الهوى وطول الهوى» .

## ●● التقليد وخطره :

من الأمور التي تؤدي إلى الانحراف عن الجادة التقليد عن غير بصيرة لأنه من الظواهر الإجتماعية التي نراها في كل زمان ومكان ومنه ما يكون فيه الضرر للفرد والمجتمع والأمة على السواء .

لذلك ينبغي أن نحذر فلا نسرف في التقليد ، وبخاصة فيما لا نعلم علم اليقين أنه خير فذلك أكبر من نفعه ، وحسبنا أن ينتهي التقليد بمحو شخصية المقلد وصيرورته تابعاً لغيره في تفكير ، وطرائق حياته الإجتماعية ، وهذا ما لا يحبه الإسلام أو يحض عليه ، فالمرء في نفسه قوة تفعل . . . قوة لها أثرها الطيب في بناء وتقوية الشخصية للفرد والجماعة والأمة على حد سواء .

## ●● أثر السنة في التشريع الإسلامي :

يقوم الإسلام على دعامتين قويتين ، واصلين مقدسين هما كتاب الله المحكم ، وسنة رسوله الصحيحة ، وبين هذين الأصلين ارتباط طبيعي قوي ، تراه ماثلاً في كل ما يأتي به من تشريع ، وفي كل ما دعا إليه من أخلاق ومبادئ تقوم عليها الحياة ، ومثل عليها تسعد بها الإنسانية .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ . . .



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ .

وأوضح أن معنى طلب الله تعالى أن نرد ما اختلفنا فيه إليه ، هو الرد كتابه العظيم ، وأن معنى الرجوع إلى الرسول هو الرجوع إلى سنته بعد أن لحق بالرفيق الأعلى .

والسبب في ارتباط القرآن بالسنة في التشريع هو أن كتاب الله لم يتناول في كثير من الأحوال والأحكام والمبادئ التشريعية من عبادات ومعاملات وغيرها إلا بإجمال وعلى نحو كلي فكان لابد من بيان وتفصيل لما جاء به وأذن يكون لابد من الاستماع لسنة الرسول واطاعتها ، والتزول على أحكامها باعتبار أنها بيان للقرآن وتفسير له ، ولا عجب فإطاعة الرسول ليست إلا إطاعة لله جل وعلا وفي هذا يقول سبحانه وتعالى :

﴿مَنْ يَعْصِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ .

ويذكر لنا المؤلف بعض المثل التي يستشف منها الرابطة التي لا بد منها خاصة من الناحية التشريعية . . . يقول «إن الكتاب لم يبين لنا عدد ركعات كل صلاة ، ولا كيفية الصلاة نفسها فجاء الرسول - ﷺ - وبين لنا ذلك كله بقوله حيناً ، وبفعله حيناً آخر وهذا حين صلى رسول الله وقال : «صلوا كما رأيتموني أصلي» .

وكذلك الأمر في الصوم فقد فرض الله تعالى صوم شهر رمضان وجاء في بضع آيات من القرآن إلا أن السنة هي التي بينت أن الصوم يكون من الفجر إلى غروب الشمس ، وأن علينا أن نبدأ بالصوم متى رأينا هلال رمضان ، وأن نفطر متى رأينا هلال شوال ، كما بينت حكم من يفطر عمداً أو ناسياً ، وغير ذلك من أحكام الصيام ، وأيضاً كان شأن

الزكاة فقد أمر بها القرآن في كثير من الآيات بلفظ الزكاة تارة ، ولفظ الصدقة تارة أخرى لكن السنة النبوية هي التي تبين لنا الأموال التي تجب الزكاة فيها ، والمقدار الواجب في كل نوع منها ، ومتى تجب .

وفي الحج جاءت السنة فبينت لنا كيفية الإحرام ومواقبته ومتى يكون واجباً وعدد مرات السعي بين الصفا والمروة ، وكيفية ومقدار الزمن الذي يجب الوقوف فيه بعرفة إلى غير ذلك كله ، مما يتعلق بالحج حتى صار معروفاً تمام المعرفة .



وإذا تركنا العبادات إلى المعاملات التي تجري بين الناس في حياتهم اليومية نجد أن السنة قد بينت لنا الكثير من ضرر وبها التي جاءت في القرآن بإجمال ، أو التي أشار إليها لا تغنى عن البيان والتفصيل ، بل إن السنة النبوية جاءت بأحكام للشريعة مهمة لم تذكر مطلقاً في القرآن . . ولنذكر بعض المثل التي تبين هذا الضرب أو ذاك في القرآن ، وأشار في بعض آياته إلى وجوب إبتناء عقد البيع كسائر العقود الأخرى - على الرضى من الطرفين - وذلك إذ يقول في محكم آياته : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾ .

إلا أن البيع له بعد ذلك أركان وشروط يجب توافرها ليكون العقد صحيحاً وإلا كان باطلاً أو فاسداً وهذه الشروط بعضها يتعلق بالثمن ، وهذا كله لا نجد له بياناً في القرآن ، ولكن نجد هذا البيان في سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه - . لذلك كله : وبعد أن مضى العصر الأول من عصور الإسلام ، جددت من الأحوال والعوامل ما جعلت كتابة السنة وتدوينها في كتب ومجاميع جامعة أمر لا بد منه .

أولاً : لإنتشار الكتابة بين العرب والإعتماد عليها في حفظ المعارف

والعلوم المختلفة .

ثانياً : لظهور الخطأ غير المتعمد في كثير من أحاديث الرسول  
وسته ، بسبب الإعتماد على الراوي على حفظه فقط .

وكانت لتدوين السنة النبوية وجمعها في كتب ومجاميع أثر كبير في  
آراء الفقهاء وحياة الفقه نفسه ، وأن ذلك كان من ناحيتين :

( أ ) الأولى أن رجال الحديث قدموا بأعمالهم مادة غنية وخصبة  
للفقهاء سواء أكان هؤلاء الفقهاء من أهل الحديث أم من أهل الرأي .

(ب) أما الناحية الأخرى فهي أن المسلمين جميعاً ، يرون أن الأصل  
الثاني لشريعة الله بعد كتابه هو سنة رسوله الذي لا ينطق عن الهوى فكان  
الفقيه لا يصبر إلى القول «بالرأي» والإفتاء به إلا إذا لم تثبت لديه سنة  
نبوية في المسألة التي اجتهد فيها برأيه .

وعلى سبيل المثال نذكر حادثة حصل فيها الرجوع إلى حكم كان  
سنده الرأي ، وذلك بعد أن علم القاضي بما ورد في هذا من سنة عن  
الرسول لم يكن يعرفها .

(اشترى مخلد بن خفاف غلاماً فاستغله ، ثم عرف أن فيه عيباً ،  
فخاصم فيه صاحبه إلى عمر بن عبد العزيز ، فقضى عمر برد الغلام إلى  
بائعه ورد غلته التي استفادها المشتري منه .

فاتى المشتري عروة بن الزبير فأخبره فذكر له أن الرسول قضى في  
مثل هذا أن الخراج بالضمان ، يريد أنه ليس على المشتري أن يرد للبائع  
غلة الغلام معه ، وأنه سيقول لعمر بن عبد العزيز أن هذا سمعه عن  
عائشة أم المؤمنين ، فلما علم عمر بذلك قال : ما أيسر على من قضاء  
قضيته ، والله يعلم أني لم أرد فيه إلا الحق فبلغتني فيه سنة عن النبي فأراد

قضاء عمر - يعني نفسه - وأنقذ سنة رسول الله . . . وكان أن تم ذلك فعلاً أي على الوجه الذي رآه عروة إتباعاً لسنة الرسول - ﷺ - :

هذه هي منزلة السنة من القرآن في التشريع ، وهذا هو موقف الصحابة والتابعين ، والفقهاء في كل العصور منها ورجوعهم عن آرائهم ، وأحكامهم متى عرفوا شيئاً منها لم يكونوا يعرفونه وكان فيه حكم الحوادث والمسائل التي كانوا يبحثون بإجتهادهم عن أحكام لها .

وكان الزاماً أن يوضح المؤلف منزلة التشريع الإسلامي من بين التشريعات الأخرى .

يقول : «التشريع الإسلامي نظام شامل بلا ريب ، فهو يحكم الإنسان وتصرفاته في كل حالاته في خاصة نفسه وفي صلاته بالله تعالى ، وفي علاقاته بالمجتمع الذي نعيش فيه ، وفي علاقة الأمة أو الدولة الإسلامية بالدول الأخرى . . . إنه ينظم كل هذه العلاقات وذلك ببيان القواعد التي تهيم عليها ، ويحكمها على اختلاف أنواعها» .

ويطول بنا الحديث إذا ما دخلنا في المقارنات الكثيرة بين التشريع الإسلامي وبين التشريعات الوضعية القديمة والحديثة ، لكننا نكتفي ببعض الأمثلة التي تبين لنا سمو التشريع الإسلامي على غيره من القوانين الوضعية في نواح كثيرة ليس من اليسير عدها واحصاؤها .

●● يرى الدكتور على بدوي وهو أحد المصيرين الاعلام في القانون أن التشريع الإسلامي له استقلاله عن غيره من التشريعات القديمة ، وانه يفوق في كثير من النواحي غيره من التشريعات الحديثة ومن ذلك نظام (الحسبة) وهي وظيفة اجتماعية قانونية إسلامية تقابل وظيفة النيابة العمومية اليوم .

ونظام (العقاب بالتعزير) وهو ترك تحديد العقوبة نوعاً ومقداراً

للقاضي فيحكم بما يراه تبعاً لما يراه من ظروف الجريمة ، وحالة المجرم ونفسيته هو نظام يمتاز به الفقه الإسلامي ، وينادي به كبار العلماء الجنائين في العصر الحديث) .

●● والأستاذ الدكتور/ عبدالرزاق السنهوري والدكتور / أحمد حشمت أبوستيت يقولان في المقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني ما يحسن أن نقله :

« لم تسلك الشريعة الإسلامية في نموها الطريق الذي سلكه الفقيه الروماني فإن هذا القانون بدأ عادات ، ونما وازدهر من طريق الدعوة والإجراءات الشكلية .

أما الشريعة الإسلامية فقد بدأت كتاباً منزلاً ووحياً من عند الله ونمت وازدهرت من طريق القياس المنطقي ، والأحكام الموضوعية . . إلا أن الفقهاء المسلمين امتازوا على فقهاء الرومان باستخلاصهم أصولاً ، ومبادئ عامة من نوع آخر ، هي أصول إستنباط الأحكام من مصادرها وهذا ما سموه بعلم أصول الفقه» .

وبعد عرض تلك الأمثلة من آراء أكابر عرض تلك الأمثلة من آراء أكابر مشرعينا يتبين أن حاجتنا للتشريع الإسلامي أمراً ضرورياً فقد صلت به أمة عظيمة سادت البشرية قروناً طويلة ، ولن تصلح في هذا العصر ، وفي كل عصر إلا إذا أخذنا به ، وقامت أحياناً على أسسه ومبادئه وأحكامه ويتقل بنا المؤلف إلى موضوع المرأة وموقف الإسلام منها . . فالمرأة كانت ولا تزال حديث الناس في كل مجتمع ، وحول مكانتها قامت مشاكل عديدة في التاريخ القديم والحديث .

فمن المعروف تاريخياً أن رب الأسرة اليونانية والرومانية كان يعتبر مالكا للمرأة كما يملك متاعه ، وأمواله ، وكان له عليها حق الحياة

والموت ، فإذا تزوجت انتقلت هذه الحقوق لزوجها فليس لها أن تستغل بأمرها في شأن من شؤونها . . . وكان الأمر قريباً من ذلك عند العرب في الجاهلية قبل الإسلام فكانت المرأة تعتبر متاعاً يورث بعد وفاة زوجها ، كما كانت لا ترث من أبيها ، ولا زوجها إذ كانوا يقسمون الميراث بين الذكور الكبار الذين يستطيعون القتال واحراز الغنائم . . . كان ذلك شأن المرأة إلى أن جاء الإسلام - دين المساواة والعدالة بين أبنائه جميعاً - فكان من الطبيعي أن تنال المرأة كل ما يمكن أن يكون لها من حقوق تنفق وطبيعتها ، وصالح البيت والمجتمع معاً ، والرسول - ﷺ - يبين هذه الحقوق والواجبات في خطبته في «حجة الوداع» وذلك إذ يقول : «أما بعد أيها الناس فإن لكم على نساءكم حقاً ولهن عليكم حقاً ، إلى أن يقول «لهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً» .

وهكذا قرر الإسلام لأول مرة في تاريخ الإنسانية المساواة بين الرجل والمرأة في المجتمع ووضع الأسس التي تقوم عليها هذه المساواة فكرمها ورفع قيمتها ، وأعطاهما من الحقوق ما يجعلها شريفة للرجل إن كان أخاً أو زوجاً ، فهي تقاسم أخاها الميراث ، وتطالبه بالنفقة إن احتاجت إليها ، وهي إن تزوجت كانت سكناً لبعْلِها معينة له في حياته ومربية لأولاده ومحافضة على سره ، وماله ، وجعل لها عند الزواج من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات .



ويصحبنا المؤلف إلى رحلة روحية مقدسة حيث مسقط رأس الرسول الأعظم ومهد رسالته الخالدة ويذكرنا بشهر رمضان شهر الهدى والتربية والفرقان . . . فلقد شاءت إرادة الله وحكمته أن يبدأ نزول القرآن في شهر رمضان المبارك ليخرج العالم به مما كان يتخبط فيه من ضلال ،

ويشقى به من ظلم وليكون فارقاً بين الحق ، والباطل في العقيدة والأخلاق ، ولولا هذا ما اتصلت السماء بالأرض برسالة جديدة للعالم كله ، وهي رسالة الإسلام خاتم الأديان والرسالات الإلهية وأيضاً كان شهر رمضان إيذاناً بعهد جديد للإنسانية كلها ، وفارقاً بين الحق والباطل وكان هدى ورحمة للعالمين من جميع الأجناس والألوان والشعوب . . . فالجميع إخوة يتعاونون في السراء والضراء ، ويساعد قويمهم ضعيفهم ، ولولم يجمع بينهم الدين ، لأنهم جميعاً أخوة في الإنسانية ، وفيه الصوم الذي يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة إمتثالاً لأمر خالقه فيكون هذا وسيلة ناجحة لترك إرضاء الشهوات المحرمة ، والصبر عنها . ويكون اجتنابها والبعد عنها حينئذ أسير عليه ، وفي هذا تعويد للإنسان على الكفاح وتقوية لعزيمته على الجهاد في الخير .

وأخيراً فرمضان شهر تفيض فيه رحمة الله وبركاته ، ويشد فيه التواصل بين المؤمنين ، وتعمر فيه المساجد والدور بالصلاة وتلاوة القرآن . ويستجيب فيه الله سبحانه الدعوات فهو يقول :

«إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان» .

ومن صوم رمضان وفضائله إلى حج بيت الله الحرام ، فالحج ركن من أركان الإسلام ، وشعيرة يتطلب القيام بها البذل من المال والنفس ، وعبادة لا يتم للقادري على دينه إلا الإضطلاع بها حتى يروي عن رسول الله أنه قال : «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً ، وإن شاء نصرانياً» هذا وقد حج خاتم الأنبياء والمرسلين حجتين وهو بمكة قبل هجرته إلى المدينة ولم يحج بعد الهجرة إلا حجة الوداع في السنة العاشرة ، أي بعد فتح مكة بستين . . . وكانت هذه الحجة حدثاً خطيراً ذا أثر كبير في

## حياة الإسلام والمسلمين .

ويعود بنا المؤلف إلى الأسرة الخلية الأولى للمجتمع أو المجتمع الصغير الذي يتكون منه المجتمع الكبير أي الأمة ، فقد عني الإسلام عناية شديدة بالأسرة وتكوينها ونشأتها ، وبيان ما لكل أفرادها من حقوق ينبغي أن يطالب بها وما عليه من واجبات يجب أن يؤديها ، ومتى قام كل فرد أو جماعة بهال . وما عليه كانت الحياة الطيبة السعيدة للأسرة وللمجتمع معاً ولتكوين الأسرة ، وهذا هو اختيار كل من الزوجين الآخر ، وبمقدار ما يوجه لهذا الاختيار من عناية ، تكون سعادة الأسرة ، واستقرار حياتها أو يكون شقاؤها واضطرابها ولقد هدانا الرسول إلى الطريق الأقوم في اختيار الزوجة إذ يقول :

«كانت رسالة الإسلام بيان العقيدة الحقة بعد أن اختلفت في ذلك اليهودية والنصرانية إختلافاً كبيراً فرق العالم إلى فرق كثيرة متعادية وكانت رسالته أيضاً وضع النظم والقوانين الصالحة لحياة الفرد والجماعة والأمة ، إذ كان حظ ماسبقه من الأديان السماوية ضئيلاً في هذه الناحية ، ومن هذه النظم والقوانين ما نعرفه اليوم باسم الفقه الإسلامي فإن الدين الإسلامي ليس عقيدة فقط ، بل هو عقيدة وشريعة وخلق ، ونظام صالح للحياة في مختلف الأزمنة والأمكنة ، وفي هذا الفقه جماع ما نعرف اليوم من أقسام القانون الوضعي الحديث وفروعه المدني ، والتجاري ، والجنائي والدستوري ، والإداري إلى آخر فروع القانون كما أن فيه أسس النظم الإقتصادية والمالية التي بها صلاح الفرد والأمة به - أي الفقه - صلحت أمة عظيمة سادت البشرية قروناً طويلة ولا تزال صالحة لقيادة العالم وتوجيهه حين ترجع تماماً إلى دينها وشريعتها الصالحة لكل زمان ومكان إلى تقاليد الطيبة .



ومرت على العالم الإسلامي فترة كان لا يعنى فيها إلا بفقه أجنبي  
دخيل بعد أن ولى ظهره للفقه الإسلامي الأصيل . . . يقول  
الدكتور/ عبدالرازق السنهوري :

علينا أولاً أن نمصّر الفقه فنجعله فقهاً مصرياً نرى فيه طابع  
قوميتنا ونحس أثر عقيدتنا ففقها اليوم لايزال هو أيضاً يحتله الأجنبي :  
والإحتلال هنا فرنسي ، وهو احتلال آخر لايزال الفقه المصري يتلمس في  
الفقه الفرنسي المهادي المرشد لا يكاد يتزحزح عن أفقه أو ينحرف عن  
مساره فهو ظلّه اللاصق ، وتابعه الأمين .

كلنا اليوم قد خطونا خطوة كبيرة في سبيل الغرض الذي نقصده ،  
وهو الإفادة من شريعة الله ورسوله ، حتى ينتهي بها الأمر إلى أن تكون  
المصدر الرسمي الأول للقوانين التي تحكم بها ، وهذه النقطة من حال  
تجاهل هذا الفقه إلى العناية به لها أسبابها ، كما أن لها مظاهرها ، فقد  
أحست الأمة إحساساً شديداً لشدة وطأة الإحتلال الأجنبي العسكري  
والفكري ، فهبت جميعها تطلب الإستقلال في كل شيء ، وطالبت بكل  
وسيلة ، وعملت بكل ما تملك من قوى ، ونبع في مصر - قلب العروبة  
- من رجال القانون من رأى أنه قد آن للقانون الذي نحكم به أن يكون  
مصرياً عربياً يتفق مع قوميتنا وتقاليدنا ، وعملوا للوصول إلى ذلك  
بالطرق التي رأوها صالحة ناجعة في رأيهم ، ولا عجب في أن ينادي  
المشرعون المسلمون بهذا التحول . ففي الإسلام بتشريعاته ونظمه ما يغنينا  
عن الأخذ عن الغرب دائماً في غير ضرورة . . . وفي ذلك يقول أحد  
المتزعمين لهذه الدعوة ، إن لكل أمة قانوناً يتحاكم إليه أبنائها ، وهذا  
القانون يجب أن يكون مستمداً في البلاد الإسلامية من أحكام الشريعة  
الإسلامية ، مأخوذاً عن القرآن الكريم ومتفقاً مع أصول الفقه الإسلامي

ويحرص المؤلف وهو في هذا الصدد على أن يعرف الوطن في الإسلام  
فيقول :

«ليس الوطن في نظر الإسلام هو قطعة الأرض المحدودة التي نعيش فيها ، ونحيا بين أرضها وسماؤها والتي يسكنها بضعة ملايين من الناس ، ويحكمها حاكم يتخذ لنفسه ما يشاء من ألقاب ، بل هو البلاد المترامية الأطراف التي تجمع بين قلوب أبنائها الروابط التي لا بد منها لأمة من الأمم . . من دين ، ولغة ، وثقافة عامة ، وتقاليد متقاربة وتاريخ مشترك بما يزره من تضحيات وكفاح في سبيل العزة والمجد ، ومن آلام وآمال وأهداف وغايات .

وذلك لأن الإسلام هو دين التوحيد بلا ريب . . وهو مع هذا دين الوحدة أيضاً . . . . ونعني بهذه الوحدة ، في الإله المعبود بحق ، والوحدة السياسية التي لا تعرف طبقات متمايزة في الحقوق والواجبات .

فهذا هو القرآن الكريم يقول :

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ويقول : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ .

ويقول رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه في حديث له :

«كلكم لأدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»  
إذا فمن الواجب أن يتقرب بعضنا مع بعض وتكون لنا سياسة واحدة ، أو متفقة في غاياتها ورسائلها ونعود كما كنا أبناء وطن واحد هو الوطن العربي الإسلامي الأكبر وأمة واحدة متماسكة يقوى بعضها بعضاً ، ويشد بعضها إزر بعض في سبيل مصلحة العرب العامة العليا .

وصدق رسول الله الذي يقول : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» .

ويحرص المؤلف فيما يحرص على أن يقدم نماذج من الصور البشرية مستوحياً إياها من القرآن الكريم . . . الكتاب الخالد المعجز بمعانيه ، وأساليبه وألفاظه . . .

من هذه النماذج :

### ●● المؤمن في القرآن :

إن المؤمن هو الذي يصدق الرسول في كل ما يأتي به من أمور الغيب ، والدار الآخرة كما يصدق في الواقع المشاهد وهو الذي يدفعه إيمانه إلى القيام بما عليه من حقوق الله وحقوق في ماله ، وهذا المؤمن الذي يؤمن بالله وكتابه ورسوله ، ويهتدي بهديه هو الذي يكون من نصيبه النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة .

وفي هذا وذاك يصف الله تعالى المؤمنين بقوله : ﴿الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ .

ويقول الله تعالى مبيناً بعض صفات المؤمنين التي لها خطرها وقدرها في الحياة :

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ .

### ●● نعم أجر العاملين :

الإسلام عقيدة يؤمن بها العقل ويطمئن بها القلب وينشرح لها

الصدر ، وعمل ينبعث عن العقيدة العقيدة ، ويكون فيه الخير للفرد والمجتمع ، وذلك مع العمل بشرائع الإسلام وأحكامه وتعاليمه ، فلأنه لا ينفع الإيمان بعقيدة ما ، دون عمل بما يوجبه بل إن هذا ليس إيماناً حقاً ، ولا ينفع العمل دون إيمان صحيح بالدين الحق ، ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى : ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ .

## ●● النفاق والمنافقون :

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ .

وافتح سبحانه وتعالى سورة البقرة بإبراز ثلاث صور تشمل صنوف الناس جميعاً : المؤمن الصريح في إيمانه فسر كعلايته - والكافر الصريح في كفره ، فظاهره كباطنه - والمنافق الذي يظن أنه يخدع الناس ، يقول بلسانه ما لا يعتقد بقلبه .

وأيضاً جاء في الحديث فيما رواه ابن ماجة في سننه ، إن الرسول - ﷺ - قال : الإيمان معرفة بالقلب ، وقول باللسان وعمل بالأركان ، فإذا كان المرء لا يجمع هذا كله لم يكن مؤمناً حقاً ، بل يكون زائف الإيمان ، أو يكون ممن لا إيمان لهم في الحق من القول ، ويكون مخادعاً للناس بما يقول .

## ●● محاولة صرف الناس عن هدى القرآن :

روي الإمام مسلم في صحيحه أن الرسول - صلوات الله وسلامه

عليه - قال : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» .

والمسلم الصادق في إيمانه بالله وكتابه العظيم ، يحرص الحرص كله على قراءة القرآن وعلمه .

والمسلم الصادق في إيمانه بالله وكتابه العظيم ، يحرص الحرص كله على قراءة القرآن متى استطاع وعلى الاستماع إليه إذا تلا غيره شيء منه ، وعلى تدبره والتفكير فيه ، وعلى الاستفادة مما جاء به من تشريعات وآداب ، ومن قصص الأولين التي فيها ذكرى وعظات بالغة لقوم يعلمون .

ومع ذلك فهناك صنف من الناس ، أعمى الله عقولهم وقلوبهم عما جاء به القرآن من حق ونور وهدى للناس كافة فضايقوا به ذرعاً حين عجزوا عن معارضته فأخذوا يفتنون في صرف غيرهم عنه ، وقال قائلهم كما حكاه الله عنهم . . ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون ﴾ .

### ●● سوء فهم للإكرام والإهانة :

إن الله سبحانه لا يغدق الرزق ، أو يضيق فيه إلا ليتبين لنا الشاكر والكفور في حال السعة ، والصابر والجاذع في حال الضيق ولو كانت سعة الرزق دليلاً على إكرام الله لمن وسع عليه ، وإلى خيرات هذه الحياة له ، ولو كان الضيق والشدة أمانة على هوان من قدر الله عليه رزقه ، وعلامة على سخطه عليه - نقول لو كان الأمر هكذا - لما رأينا كثيراً من المؤمنين الصادقين والخيرين الفضلاء يقاسون الشدة من سوء ما هم فيه من حاجة وجهد وخشونة في الحياة .

### ●● بين البصر والعصر :

إن المؤمن الصادق في إيمانه ، يعرف يقيناً أن المؤمن الصادق في

إيمانه ، يعرف يقيناً أن الله جلت حكمته لا يفعل شيئاً عبثاً ، وإن فعله دائماً لحكمة ومصلحة قد تختفي علينا ، كما يعرف أنه تعالى مصدر كل مايصيبنا من خير أو شر فكل شيء هو بقضائه وقدره سبحانه هو العليم الحكيم وهو المستحق للعبادة والدعاء في كل حال .

وإذا كان المؤمن الصادق الإيمان يوقن بهذا وذاك - فإن أمره في هذه الحياة يدور بين الشكر والصبر ، شكر على النعمة ، وصبر على المكروه ، ورضا بالله في كل حال ، وتسليم بما يأتي به ، ومن ثم قيل بحق : الإيمان صبر وشكر وفي القرآن الكريم :

﴿وسيجزي الشاكرين﴾ وفيه أيضاً : ﴿إنما يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب﴾ .

ولكن كثيراً من الناس ليسوا على هذا النحو ، فإن الواحد منهم لا يتذكر الله إلا عند الشدة ، ولا يدعو إلا حين تنزل به مصيبة ، أو يناله ضرر في نفسه أو ولده أو ماله .

أما إذا رأى أنه في نعمة ، فإنه ينسى من كان يتضرع إليه حال البؤس والضيق ، فلا يتوجه إليه بعبادة أو دعاء ، وربما يعتقد أنه أهل لما ينعم به مستحق له فليس ما يدعو له للشكر عليه . والقرآن الكريم يرسم صورة هؤلاء المفتونين الجاحدين ، وذلك إذ يقول الله تعالى :

﴿وإذا مس الإنسان الضر ، دعا ربه منياً إليه ، ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل ، وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلاً ، إنك من أصحاب النار﴾ .



ومع نهاية فصول الكتاب يقدم لنا المؤلف فاصلاً يتضمن جوانب

من التراث الإسلامي فإن الدعاءات التي تقوم عليها كل أمة من الأمم أن يكون لأبنائها عقيدة وطنية قومية ، وهذه العقيدة تقوم على الإيمان ، إيماناً لا ريب فيه بعلو جنسهم وحضارتهم وتقاليدهم ، وعلى الإيمان كذلك بقيمة تراثهم الفكري وبوجوب الإفادة منه ، فإن البناء للحاضر وللمستقبل لا يمكن أن يقوم ويقوى إلا على أسس قوية ذاهبة في الأعماق ، ومن أجل هذا وذاك وجب أن نجلو بعض جوانب تراثنا الإسلامي والحضارة القوية المجيدة التي قامت عليه .

وحين نتعرف حقاً إلى ذلك التراث المجيد ، وحين ندرك قيمته ونفد منه ، نعلم يقيناً مقدار ما فيه من خير ما كان ينبغي أن نعرض عنه زمناً طويلاً ، ونعلم أيضاً أن أمة تملك هذه القوى المذخورة يجب أن تراحم الأمم الأخرى في المحافل الدولية ، والكواكب العالمية .

وتناول المؤلف بعض نواحي هذا التراث ممثلاً لكل ناحية بكتاب من مراجعه الأصلية مع تحليله ، وبيان مقاصده ، وأهدافه ، والطريقة أو المنهج الذي اتبعه المؤلف في تأليفه كسيرة ابن هشام أول مرجع لسيرة الرسول - ﷺ - بعد القرآن الكريم كما أنه أثر وصل إلينا كاملاً في هذه الناحية ، وذلك بوساطة رجل واحد هو زياد البكائي ، ومن ثم كان حرياً بتوفر الناس على دراسته وإحلاله المكانة اللائقة به بين عيون التراث الإسلامي التاريخي .

ثم كتاب طبقات ابن سعد ثمانية أجزاء ، خصص الأول والثاني منها بسيرة الرسول - ﷺ - ثم ذكر في الجزء الثالث بقسميه من شهد معركة بدر من المهاجرين والأنصار .

وجعل القسم الأول من الجزء الرابع خاصاً بالصحابة الذين لم يشهدوا بدرأ من المهاجرين والأنصار ولهم اسلام قديم .

وجعل القسم الثاني لمن أسلموا قبل فتح مكة .

وخصص الجزء الخامس لأهل المدينة من التابعين ومن كان منهم  
ومن الأصحاب بمكة والطائف واليمن واليامة والبحرين .

وفي السادس تناول من نزل الكوفة من الصحابة ، ومن كان بها  
بعدهم من التابعين وغيرهم من أهل الفقه والعلم .

وفي السابع تناول البصريين والبغداديين والشاميين والمصريين  
وغيرهم ، وجعلهم طبقات من حيث السن ، ومن حيث شيوخهم  
الذين رووا عنهم .

أما الجزء الثامن وهو الأخير فقد خصصه للنساء من المهاجرات  
والأنصاريات ، فهو يبدأ بمن بايعن الرسول ، ثم من كن من قريش ،  
وأخيراً من كن من العرب وغيرهم .

ومن بين الكتب التي تعرض لها المؤلف كتاب موطأ مالك وهو  
كتاب جليل في الحديث والفقه معاً ، وهو أول كتاب وصل إلينا من نوعه  
وفي طريقته وأسلوبه ، جمع فيه الإمام مالك ما قوي عنده من حديث  
أهل الحجاز ، وأضاف إليه أقوال الصحابة وفتاوي التابعين ، ثم رتبته  
بعد ذلك على أبواب الفقه المعروفة في العبادات والمعاملات ، وختمه  
بفصول شتى في الفقه أيضاً والأخلاق والدين عامة .

ويحدثنا المؤلف أيضاً عن كتاب يعتز به المسلمون إعترافاً كبيراً لأنه  
أول كتاب في علم لم يوجد له إلى اليوم نظير في غير الإسلام وهو كتاب  
«الرسالة للإمام الشافعي في علم أصول الفقه وأدلته والطريق إلى استنباط  
الأحكام الشرعية منها» .

ويختتم المؤلف كتابه بتقديم توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية



الشريفة في التعاون على الخير ، والأمر المعروف والنهي عن المنكر ،  
والتراحم والتكافل الإجتماعي والإصلاح بين الناس والغنائم والإقتصاد  
في المعيشة ثم في الحث على العمل والتعفف عن السؤال إلى غير ذلك من  
القيم والمبادئ الإنسانية .

وبعد :

إن كان لنا كلمة بعد عرضنا لهذا الكتاب الإسلامي المفيد فإننا  
نقول : إن الإسلام دين خالد تناول كل شؤون الحياة ، وأتى بخير الحلول  
لكل مشكلة من مشاكلها بلا استثناء بالنسبة للفرد ، والأسرة والمجتمع ،  
والأمة ، والدولة والإنسانية كلها بلا فارق بين الأجناس والشعوب . . .  
جاء بالعقيدة الصحيحة وبالشرعة العادلة التي يكون الناس أمامها  
سواء ، وبالأخلاق الفاضلة التي يقوم مجتمع إلا بها ، وبالنظم التي  
لابد منها لحياة الفرد والمجتمع والأمة جميعاً .

وهكذا ينتهي عرضنا لكتاب : «الإسلام والحياة» ذلك الكتاب  
الرشيق الذي يحمل بين جنباته حصيلة عالم فاضل أفنى جانباً من عمره  
في الخوض في كل ما يعني للقارئ المسلم من أمور دينه ودنياه .







الإسلام دين الفطرة والمساواة والعدل - جاءت شريعته سمحة ينهل منها كل من أراد أن يضع ضوءاً في طريق البشرية أو أراد أن يحكم العقل كيما يصل إلى كنه هذه الحياة وموجوداتها . . . بل المعاني السامية التي جاء بها الإسلام فأصبحت دستوراً قوياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

مع فضيلة الشيخ محمد محمد المدني نعيش كتابه : «وسطية الإسلام» حيث بدأه بما يدور في خلد ككاتب مسلم عن معنى آية من آيات قرآننا الكريم :

«وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس» درستها دراسة واعية هدفها معنى هذه الوسطية أي عدالة ما جاء به الإسلام من أحكام ومبادئ ومثل فإيمان المسلمين في أن أحكامهم هي الأحكام الصالحة للحياة أو بأن عقائدهم ومثلهم هي ميزان التعديل ومنهج الحكم ، وعناصر الشهادة الصادقة المطابقة للمصلحة ، هو أيضاً واجب عيني على كل فرد في الأمة الإسلامية بحكم القرآن .

ولهذا بين المؤلف للناس أن أحكام الإسلام ومناهجه ومثله هي مقاييس العدل وموازن الحق ومعايير الفضيلة ، وأنها في الوقت نفسه سبل السعادة والأمن والرضا .

ولتقف عند هذا الحد لنجد المؤلف وقد مهد لنا الطريق عندما شرح لنا أسلوب البحث بقوله :

«إن القضايا التي تبحث في ظلال التعمس تتعرض عادة لشك

القارىء ، وربما لإساءة الظن بالباحث .

لذلك سيجد القراء أننا تحقيقاً لهذا الإنصاف المنشود أفصحنا عما يراود الأفكار من شبه ، وما يلابس كثيراً من القضايا من شكوك ، فقررناها واضحة كما نعرفها في أذهان أصحابها . ثم نظرنا فيها فإن ذلك مصارحة ومكاشفة وهما أجدر أن يوصلا إلى التفاهم الصحيح المستقر لا إلى مجرد التقبل الظاهري والإذعان الجذلي .

ولعلنا نتساءل عن معنى الوسط . . . فهو لغة اسم لما بين طرفي الشيء وإن أوساط الشيء أفضله وخياره .

ومن الحديث . . «خيار الأمور أوسطها» .

وقد مدح الله تعالى التوسط في مواضع كثيرة من كتابه مثل قوله :

«ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط»

لذا كان وصف الله سبحانه وتعالى لأمة محمد - ﷺ - بأنها أمة وسط . . تلك كانت لفظة من المؤلف تبين لنا قصد السبيل من دراسته لمعنى الوسطية في الإسلام .

### مظاهر الوسطية :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق الإنسان مركباً من روح وجسم حتى يكون صالحاً للماديات والمعنويات معاً ، ولم يجعله كالملائكة روحانياً صرفاً لأنه عمارة هذا الكوكب الذي يعيش فيه تقتضي هذا اللون من الخلق المزدوج الطبيعة .

لذلك خلق الإنسان - بهذه الحكمة - على هذا النحو الجامع بين المادية والروحية فكان لا بد له بالإعتراف بحقوق فطرته وميوله وعواطفه

... فالفطرة تأبى ما ينافيها ، وهي الباقية في الإنسان الراسخة فيه ، وكل ما سواها فهو طارئ عليها متأثر بها لا يستطيع أن يزيلها .

ولقد قامت الشريعة الإسلامية على رعاية هذه الفطرة في كل ما جاءت من أحكام سواء في جانب العقيدة أو في جانب المناهج والشرع العملية والخلقية ورسوم العبادات .

وهذا الروح الذي يسيطر على جميع الأحكام هي الوسطية أي الاعتدال والتوسط بين الأطراف وهو الذي يلائم الطبيعة المزدوجة للإنسان ولذلك وصف الإسلام بأنه دين الفطرة تعبيراً عن هذا المعنى وأخذاً من قوله تعالى :

﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ .

ومن تأمل في أي حكم من أحكام الشريعة استطاع أن يجد فيه هذا الروح وأن يردّه إلى هذا الأصل . ولقد ضرب مؤلفنا أمثلة تدل على بساطة العقيدة ، ويسر التكليف منها : أن العقيدة الإسلامية في الله جل جلاله قائمة على وصفه تعالى بكل جميل ، وتنزيهه عن كل قبيح ، وقد أمرنا بأن تفكر في آثار الله ، ولم نؤمر - بل نهينا - أن نفكر في ذاته - لأن آثار الله في الخلق والإيجاد والتصرف واضحة يمكن أن نراها بقولنا كما نراها بعيوننا .

يقول الله عز وجل في حض العباد على التفكير في خلقه وآثاره وماله من تصرف وتدبير .

﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾

ومن ذلك أيضاً التوسط بين الزاعمين بأن الإنسان مجبور ظاهراً

وباطناً . والزاعمين بأنه خالق لكل فعل من أفعال نفسه دون دخل الله .  
وفي القرآن الكريم آيات يستدل بها هؤلاء ، وآيات يستدل بها هؤلاء  
والنقاش والجدال بينهما طويل ، ولكن المتأمل المنصف الخالي من  
التعصب يستطيع أن يعلم الحق ، وأن يراه واضحاً في كتاب الله .  
وكما يقال هذا في العقائد الإسلامية يقال في العبادات التي كلفنا الله  
إياها ، والمعاملات التي رسم لنا طريق السلوك فيها .

فالصلاة انقطاع عن المادة واتصال بالروح الأعلى ، ولكن في أوقات  
مناسبة محصورة بحيث لا ينخلع الإنسان من حياته وأعماله ونشاطه ،  
ولا ينخرط فيها انخراطاً كلياً فتظلم نفسه ويتبلد حسه ، والصوم ليس  
حرماناً كاملاً بالليل والنهار ، أو قصرأ على بعض المباحات دون بعض ،  
وإنما هو حرمان وقتي لساعات محدودة لكل بعدها أن تتناول كل ماتريد  
من المباح ، وإن تلبس ما أحل الله فيجتمع لك من هذا وذلك تربية  
الروح وتلبية الجسم ، وكل هذا في العبادات الأخرى ، وهناك آيات كثيرة  
تدل دلالة واضحة على معنى الوسطية كقوله تعالى :

« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل  
هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات  
لقوم يعلمون » .

فهاتان الآيتان الكريمتان جاءتا على مبدأ الوسطية فهما تقرران حق  
الإنسان في الأكل والشرب واللباس والزينة والطيبات من الرزق على  
حسب الناموس الذي يستقيم عليه شأنه فرداً وجماعة والذي يؤدي به  
حظ الجسم والروح معاً ، وهما في الوقت نفسه توحيان ببعض القواعد  
والأصول التي تؤدي إلى تيسير الحياة على الناس ، وإلى ترقية المستوى  
البشري في الجانب الروحي . هذا هو منهج الإسلام في اللباس والزينة

والطعام والشراب والطيبات من الرزق عامة لا تحريم لما أخرج الله لعباده ولا إسراف ، ولا التماس لغير الطيبات ولا تخرج من تطلب المتاع الحسن بوجوهه المشروعة . ولا بأس بالتنافس في سبيل التقدم والرقى تنافساً شريفاً من شأنه أن يرفع مستوى البشرى ، ويحقق لى جانب ذلك سموهم الروحي ، وكمالهم الخلقي .

كذلك من الأصول المقررة في الشريعة الإسلامية تلك القاعدة التي تضمنها قول رسول الله - ﷺ - «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» وهي قاعدة ذات أثر فعال في التوجيه والتربية وفيها نفع عظيم للمجتمع ، ويرتبط بها الحكم الشرعي في الجمهرة العظمى من أفعال المكلفين - وبيان ذلك يرجع إلى ما يأتي :

القرآن الكريم والسنة المطهرة متضافران على تقرير هذه القاعدة وإثباتها أصلاً من أصول الشريعة المحكمة مما ورد في القرآن الكريم قوله : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا الله الدين الخالص﴾

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ .

فهذه الآيات وكثير غيرها واضحة في أن أساس الأعمال هو الإخلاص والنية الصالحة . وبهذا يتبين أن الشريعة الإسلامية قد قررت بهذا الأصل مبدأ يقوم على أساس من العدل والوسطية ويؤدي إلى تقويم خلقي للأفراد يترتب عليه صلاح كبير للمجتمع وتخفيف كثير من مآرب أصحاب الغايات الفاسدة المفسدة .

ولقد دأب مؤلفنا في دراسته الواعية على تبيان أهم ما تتميز به شريعتنا الغراء من وسطية فقي هدى الإسلام في الزواج والطلاق يقول :



«إن الزواج سنة من السنن الطبيعية التي لا بد منها لبقاء النوع الإنساني ، ولذلك هيا الله تعالى كلاً من الرجل على طبيعة تحبب إليهما الاجتماع والتقارب وامتن على الناس مُنْبِهاً إياهم إلى انه آية من آياته الدالة على قدرته وحكمته فقال سبحانه :

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾

وهذا يدلنا على أن القرآن الكريم ينظر إلى سنة التزاوج والإرتباط بين الرجال والنساء كأمر عظيم له خطره الكوني ، وله قيمته الكبرى التي لا تقل في اعتبارها ، ولا في إيجائها بعظمة الله تعالى عن السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، واختلاف الألسنة والألوان ولذلك يعتبر الله تعالى هذه الرابطة العظمى رابطة مقدسة وتتفق كل الرسائل التي جاء بها أنبياء الله في ذلك فتقديسها ليس من الأمور التي تتغير بتغير الرسائل ، وليس مما ينسخ في شريعة من الشرائع ، ولا مما يدخل تحت تغير الزمن أو المكان أو يخضع لفلسفة نظرية أو واقعية تحاول إبطال أو تشكيك الناس فيه .

ولقد كان من الطبيعي أن تأتي التشريع الإسلامي الذي هو الفطرة والرحمة متمشياً مع روح المحافظة على هذه الرابطة . . .

وهذا الميثاق الغليظ ، وكان من ذلك أن الشرع أفادنا بأن فصم هذا الميثاق الغليظ ليس مما يحبه الله ، وأنه كان إباحه تقديراً لما يمكن أن يقع بين الزوجين من نفور أو فساد في العلاقة لا يمكن معهما أن يقيما حدود الله فإنه أباح بهذا القدر فقط مع كثير من التحفظ ومع وضع كثير من العقوبات في سبيل تمامه ، ومن ذلك أن الله تعالى جعل الطلاق المشروع على ثلاث مراحل وجعل للزوج أن يراجع زوجته في كل من المرحلتين

الأولى والثانية أما بعد الثالثة فقد حرم عليه امرأته إلا إذا تزوجت بغيره ثم طلقها .

في ذلك كله أبعاد للنهاية السيئة التي لا يجبها الله وهي انفصام النكاح .

وهذا هو السر في أن الشريعة الإسلامية تعتبر عقد النكاح عقد دوام واستقرار وإن فسخه خلاف الأصل وحكمه الخطر ، وأنه إنما يلجأ إليه حين يكون استمرار العلاقة الزوجية . مستحيلاً أو مفضياً إلى ما حرم الله ، وإن الرحمة في مثل ذلك تقتضي أن يمنع كل من الزوجين بالتفريق فرصة جديدة غير هذه الحياة التي لم تعد صالحة .

والخلاصة أن الزواج سنة فطرية أقام الله عليها العالم وجعلها نعمة من نعمه العظمى على الناس وأن الدين يعطي هذه الرابطة ماتستحقه من قداسة ، وأن الله يحب لهذه الرابطة الدوام ، وأن تظل مصدر سعادة وتعاون على البر والتقوى للزوجين ، ومصدر نفع للناس وأنه تعالى يكره أن تنفصم عروة هذا الرباط فيضع الحواجز في سبيل هذا الفصم ولا يبيحه إلا بعد بذل جهود كثيرة للحيلولة دونه وبعد تمكين من الفرصة تلو الفرصة لمراجعة النفس ، وأنه بعد هذا يبيحه مراعاة لواقع الحياة في بعض ظروفها رحمة بالناس وتخليصاً للمجتمع من علاقة أصبحت فاسدة سيئة لا تجدي على أصحابها ، وتمكيناً لكل من الزوجين أن يجرب زوجية جديدة لعلها تكون أحسن حالاً وأنفع للمجتمع .

وما أن نصل إلى هذا الحد من الكتاب حتى نجد باباً مكملًا لما سبقه بعنوان : تحديد الوضع الاجتماعي لكل من الرجل والمرأة يقول المؤلف فيه :

إن الأنوثة مظهر طبيعي له مقتضياته ولوازمه ، ولا يمكن أن ينسخ ويؤزل من الواقع ولو اجتمعت كل العوامل الصناعية أو التكلفية على

نسخه وإزالته ، وليس في الإسلام ما يوحى بأن الأنوثة يلزمها عدم الذكاء أو عدم المعرفة أو عدم الفطنة .

إن الأنوثة في ذاتها لا يمكن أن تكون سبباً مباشراً لضعف عقلي أو عملي أو ديني .

وكم رأينا من النساء عالمات عاقلات حكيما متدينات عابدات .  
والقرآن الكريم يفرض ذلك ويدل على إمكانه ، بل على وجوده والتاريخ يحفظ من الذكريات الطيبة لكثير من النساء ما يعد فخراً وشرفاً .

وليس في الإسلام ما يمنع النساء التفقه في الدين ، وفي مختلف شؤون الحياة على شريطة أن يحتفظ لهن وللمجتمع بوسائل الصون والعفاف ورعاية الفضيلة ، بل إن الإسلام يحب ذلك ويأمر به ويؤكد ويحث عليه ولهذا كان الإسلام منطقياً حين أراد أن يجعل أحد الزوجين صاحب القوامة والرياسة تحقيقاً للنظام الذي يقضي بذلك في كل مجتمع فاختار الرجل وجعله قواماً على المرأة ، ونظر في ذلك على أنه أصلح الشريكين لهذا المركز فقال : ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم﴾ فهو تفضيل قائم على مبدئين .

- ١ - الأصلح للعمل هو الأقوى عليه وهو الأولى به .
- ٢ - الأكبر مسؤولية هو الأولى بالسلطة ، ولو أن الإسلام عكس الأمر فجعل المرأة هي القوامة على الرجل لكان منطقي مع مبدئه المقرر في اختيار الأصلح والأمثل ولا مع القواعد الطبيعية .

وحين جعل للرجل حق الولاية في الشؤون العامة لم يجعل هذا الحق للمرأة ابتداء وذلك لسبب واضح هو أن الرجال أقدر على التفرغ له ،

وأصبر على تبعاته ومقتضياته . وينبغي أن نشير هنا إلى أمرين :  
أولهما : أن ذلك من شأن الولاية العامة أي الولاية التي لها طابع توجيهي وتنفيذي عام .

وثانيهما : أننا نقول أن الإسلام لم يجعل للمرأة هذا الحق ابتداء . ومن هذا يتبين أن موقف الإسلام في هذه القضية وغيرها من القضايا التي تحدد الوضع الاجتماعي لكل من الرجل والمرأة لا تعنت فيه ، بل هو الموقف الذي لا بد منه . ولا يعد هذا انتقاصاً للمرأة أو تمييزاً للرجل ، وإنما هو وضع للأمور في نصابها ، وحكم عادل صادر عن درس لنفسية المرأة بحسب ماتزاوله من الأعمال ، وطبيعة مركزها في المجتمع ، ذلك المركز القائم على الضن بها أن تمتن وتبتذل .

فلا ينبغي أن يؤخذ من التكريم معنى التفتيص ، ولا أن تجعل الصيانة والحفظ نزولاً بمركز المرأة ، وهما عين التكريم لها والتفديس لشأنها .

وفي نهاية جولتنا مع هذا الكتاب الشيق يستوقفنا بحث في أصول الأحكام قسم إلى :

( أ ) القطعيات والظنيات في الشريعة .

( ب ) أسلوب المشرع في العقائد والعبادات والمعاملات .

( ج ) مجيء التكاليف في حدود الإستطاعة ، وهو المعبر عنه ينبغي الحرج القطعيات والظنيات في الشريعة .

هناك نوعان من المسائل والأحكام يستطيع الناظر في علم الشريعة أن يفرق بينهما وأن يهتدي بهذا التفريق في بحثه ودراسته .

## النوع الأول :

الأحكام القطعية التي قام الدليل على أنها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان ولا يجوز الاختلاف فيها ، وهي تخضع في ثبوتها ونفيها لإجتهد المجتهدين . ويمكننا أن نرجع هذا النوع إلى ما يأتي :

١ - العقائد القاطعة التي يجب الإيمان بها لقيام الدليل اليقيني في ثبوتها ودلالته عليها ، وعلى أنها الحد الفاصل بين المسلمين وغير المسلمين ، ومن جحد شيئاً منها فقد خرج من رتبة الإسلام .

وذلك كالتوحيد وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب وختم النبوة بمحمد - ﷺ - والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال في الدار الآخرة . الخ .

فليس لأحد أن يجتهد في ذلك ، وأمثاله ليس محلاً للإجتهد إذ هو حقائق متعينة ثابتة باقية لا تتغير مهما تغير الزمان والمكان إلى يوم الدين ، وليس هناك احتمال ما لثبوت تغيرها أو بطلانها .

## ثانياً :

الأحكام العملية التي جاءت بها الشريعة بطريقة واضحة حاسمة في جانب الإيجاب أو المنع أو التأخير ، وذلك مثل وجود الصلاة والزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .

## ثالثاً :

القواعد الكلية التي أخذت من الشريعة بنص واضح ليس فيها ما يعارضه تقريراً أو تقريراً أو إستنبطت بعد الإستقراء التام وعلم أن الشريعة تجعلها أساساً لأحكامها وذلك مثل « لا ضرر ولا ضرار » « وما جعل عليكم في الدين من حرج » « الحدود نذراً بالشبهات » ...

«لا يعبد الله إلا بما شرع». «المعاملات طلق حتى يثبت المنع» - ونحو ذلك .

### النوع الثاني :

أحكام أو نظرات لم تحيى على هذا النحو الواضح القاطع في وروده ومعناه ، ولكنها جاءت أو جاء ما يدل عليها أو يشير إليها على نحو صالح لأن تختلف فيه الأفهام ، وتعدد وجهات النظر إما لأمر يتعلق بأصل الوجود أو بالدلالة والإفادة .

وهذا النوع هو الذي جعلته الشريعة موضع اجتهاد المجتهدين ، وجعلت منه مجالات للنظر والتفكير والموازنة وال ترجيح . . والاستقراء والتتبع وتقدير المصلحة والعرف وتغير الحال . . إلى غير ذلك من وجوه النظر وأسباب الاختلاف .

ومن هذا القبيل في جانب المعارف الكلامية وفي جانب الأحكام الفقهية وفي جانب القواعد الأصولية أو الفقهية التي تفرغ عليها الأحكام .

والحكمة في ورود هذين النوعين من الأحكام في الشريعة الإسلامية .

إن أمر الناس لا يصلح إذا جاءت الأحكام والمسائل كلها على نمط واحد .

فلا يصلح في أمور العقائد وأصول الدين أن يترك لعقولهم وأفهامهم وظنونهم كما لا يصلح ذلك في حقائق العبادات وصورها ورسومها ، ولا في أصول المعاملات التي تقوم عليها فكان من رحمة الله بالناس أن وقاهم شر التفرق فيها ورسوم لهم دائرة محدودة واضحة المعالم يعرف من دخلها ومن خرج عنها وسما بالحقائق الواقعة عن أن تكون محل خلاف أو تنازع .

أما الفروع التي لا يضر الاختلاف فيها سواء أكانت في الجوانب النظرية أم في الجوانب العملية فلم يكن يصلح أمر الناس على توحيدها ، ولو أنها وجدت لجمدت العقول ولإصطدمت الشريعة في كل زمان ومكان بما يجد للناس من صور المعاملات ، وبما لا بد منه من مراعاة المصالح ودرء المفاسد لذلك كان من رحمة الله بالناس وحكمه في التشريع لهم أن يفتح للعقول مجال النظر ولا يجعل من ذلك مددا لا ينضب معينه لما يجد من القضايا والصور ، ولما تسير به الشريعة المصالح .

ويتبين من هذا أن الإسلام توسط في تشريعه من حيث رعاية ما يجب الإتفاق عليه ، وما يجوز الاختلاف والإجتهد فيه . . فلم ينكر حق العقول في النظر والبحث والتطور وملاحظة إختلاف العرف والأمكنة والأزمنة ، وهي دواعي الإجتهد ، كما لم ينكر حق الجماعة في أن تأتلف على أمور تجمعها وتكون بها أمة مترابطة متفاهمة على أصولها .

### **أسلوب المشرع في العقائد والعبادات والمعاملات :**

إن الشريعة الإسلامية لها ميادين ثلاثة في حياة الناس تصول فيها وتجول ، ولا في كل ميدان من هذه الميادين أسلوب يختلف عن أسلوبها في غيره .

أما الميادين الثلاثة فهي :

- ١ - ميدان العقائد .
- ٢ - ميدان العبادات .
- ٣ - ميدان المعاملات وأما أسلوبها في كل ميدان من هذه الميادين فهو على الترتيب . .

- ١ - أسلوب المخبر الواصف .
- ٢ - أسلوب المنشئ المجدد .

٣ - أسلوب الناقد المذهب فالعقائد التي يفرض علينا الدين أن يؤمن بها ما هي الحقائق ثابتة في نفسها لها وجود واقعي ، وهي تفرق في هذا عن المبادئ والأحكام التي هي من قبيل الإنشاء ، والتي تشرع للناس بعد أن لم تكن ، وتتغير أحياناً بتغير الزمان والمكان .

أما العبادات فهي تختلف عن العقائد في أنها إنشاءات أنشأها الله تعالى ، ورسم حدودها وهياها على صور خاصة وطلب من عباده أن يعبدوه بها .

فالصلاة عبادة منشأة مؤلفة من أفعال خاصة وأقوال خاصة على ترتيب خاص .

والصيام إمساك عن الطعام والشراب وجميع الشهوات في زمان مخصوص .

والحج مناسك معينة لها رسومها وأوقاتها وأمكتها وأركانها وشروطها . وأما موقف المشرع في ميدان المعاملات فإنه يختلف إختلافاً جوهرياً عن موقفه في كل من ميدان العقائد ، وميدان العبادات .

إن الشريعة ليست هي التي أنشأت للناس صور التبادل والتعاون والتعامل ، ولكنها جاءت فوجدت صوراً يتعامل الناس بها فكان موقف منها ، غير موقف الإنشاء والرسم وغير موقف الإخبار والوصف ، وذلك الموقف هو موقف الأفراد ، أو التعديل أو الإلغاء وهو الذي سميناه في أول هذا الباب أسلوب الناقد المذهب وهي لا تتدخل في هذا الميدان إلا بمقدار ما تحمي مثلها ومبادئها التي جاءت بها من العدل والتيسير والرحمة ودفع أسباب التشاحن والبغضاء ، وربط أفراد المجتمع برباط من المحبة والتعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان .

وثمره هذا البحث أننا نستطيع أن نرسم على ضوءه منهجاً فقهيّاً في دراسة المعاملات الحديثة يقوم على دعائم ثلاث :



### الدعاة الأولى :

أن من حق المجتمع الإسلامي أن يبتكر ما شاء من ألوان المعاملات وأن يجاري النشاط الإقتصادي العالمي بالمساهمة فيه حسب الطرق الحديثة دون تحرج .

### الدعاة الثانية :

أن الأصول في المعاملات الإباحة فلا يجوز المسارعة إلى تحريم صورة من صور المعاملات حتى يتبين أن الله حرمها .

### الدعاة الثالثة :

أن اشتغال المعاملة على ناحية من نواحي المنع والتحريم لا يكفي في القول بتحريمها .

وهذا يشرح لنا نظرة الإسلام المتوسطة بين هذه النواحي المختلفة من التشريعات فهي نظرة تقوم على إدراك الواقع وإعطائه ما يناسبه من أساليب المعالجة والدرس ، وهي في الوقت نفسه تعطي العقائد الأصلية حقها في الثبات والاستقرار وأن تأتلف القلوب عليها ، وتعطي العبادات حقها في أن تكون مستمدة من المعبود لأنها رسوم شكره هو ، وتعظيمه هو ، فلا تستمد إلا منه ، كما لو تصورنا ملكاً يجعل لمقابلته وزيارته مواعيد وتقاليد لا يجوز الخروج عليها «ولله المثل الأعلى» .

وتعطي - أخيراً - المعاملات حقها في أن تتطور وتتجدد ، وملاحظة في أمرها ما يصلح به الناس وتيسر به الحياة وذلك مظهر عظيم من مظاهر الوسطية في الإسلام .

### ومجيء التكاليف في حدود الإستطاعة :

وأما مجيء التكاليف في حدود الإستطاعة البشرية ، وهو ما يعبر عنه أهل الشرع «بنفي الحرج» فهو أصل من الأصول المقطوع بها ولا

خلاف عليه بين علماء الشريعة . . ويدل عليه في القرآن آيات كثيرة منها قوله تعالى :

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ . وهناك أمثلة كثيرة تبين لنا مدى تيسير كثير من التكاليف على سبيل المثال :

إنه سبحانه وتعالى كلفنا بالوضوء والغسل من الجنابة ، وشرع التيمم عن فقد الماء أو عدم القدرة عليه .

﴿ أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ .

وأمره الأزواج بأن يمتعوا زوجاتهم «على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، متاعاً بالمعروف» ورسم في شؤون الوالدات نهجاً لا ضرر فيه ولا ضرار «وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده» .

وأيضاً فقد حرم أشياء في حال السعة ، وأباحها في حال الضرورة :  
﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه ، إن الله غفور رحيم ﴾ .

﴿ ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله ، فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ .

ومنها أنه يعطي الطبايع حقها ولا يلزم بما ينافيها فالطيبات مباحة وزينة الله التي أخرج لعباده مباحة ، والرهبانية ممنوعة .

واعترال النساء في المحيض واجب ، والرقت إلى النساء ليلة الصيام حلال ، والرجال قوامون على النساء ، وللذكر مثل حظ الأنثيين ، ومواعدة المطلقة بالزواج أثناء العدة محرمة ، والجمع بين الأختين ممنوع وحرم على الرجال التزوج من الأم أو الأخت أو العمة أو الخالة ، ففي الزواج منهن إمتهان هن ، وحرام على الرجال زواج الإماء إلا في حال الضرورة والرهن مشروع والمعسر منظر . . .

وهكذا ، من هذا يتبين أن التكاليف كما روعيت فيها طاقة الفرد في الواجبات العينية وأمثالها لوحظت فيها أيضاً طاقة المجتمع في الواجبات الكفائية وأمثالها .



### أما بعد :

فهذه هي شريعتنا السمحة ، وهذه هي مظاهر عدالتها وتوسطها التي تجعلنا نفهم حق الفهم معنى قوله تعالى :

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً . لتكونوا شهداء على الناس﴾ .

فليست هذه الوسطية إلا المنهج القويم العدل الذي يلاحظ الفطرة ، ويعالج الطبيعة ، ويرد المجتمع إلى اليسر مع التماسك ، ويبعده عن الفساد والانحلال مع الرحمة به والتخفيف عنه ، ، وأن هذا هو الصراط المستقيم الذي علم الله عباده أن يشدوه . وهكذا تنتهي جولتنا مع إحدى ذخائر الفكر الإسلامي الهادف إلى إسعاد البشرية جمعاء .



## فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
- تقديم .....	٧
- فاتحة القول .....	١١
- الإسلام عقيدة وشريعة .....	١٥
- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه .....	٤٣
- الإسلام وحاجة الإنسانية إليه .....	٧٣
- القرآن والمنهج العلمي المعاصر .....	٨٣
- المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء .....	١١٣
- الإسلام والحياة .....	١٣٣
- وسطية الإسلام .....	١٦٥

## صدر من هذه السلسلة

- ١ — تأملات في سورة الفاتحة ----- الدكتور حسن باجودة
- ٢ — الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه ----- الأستاذ احمد محمد جمال
- ٣ — الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ----- الأستاذ نذير حمدان
- ٤ — الاسلام الفاتح ----- الدكتور حسين مؤنس
- ٥ — وسائل مقاومة الغزو الفكري ----- الدكتور حسان محمد مرزوق
- ٦ — السيرة النبوية في القرآن ----- الدكتور عبد الصبور مرزوق
- ٧ — التخطيط للدعوة الاسلامية ----- الدكتور محمد علي جريشة
- ٨ — صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية ----- الدكتور احمد السيد دراج
- ٩ — التوعية الشاملة في الحج ----- الأستاذ عبد الله بوقس
- ١٠ — الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره ----- الدكتور عباس حسن محمد
- ١١ — لمحات نفسية في القرآن الكريم ----- د. عبد الحميد محمد الهاشمي
- ١٢ — السنة في مواجهة الاباطيل ----- الأستاذ محمد طاهر حكيم
- ١٣ — مولود على الفطرة ----- الأستاذ حسين احمد حسون
- ١٤ — دور المسجد في الاسلام ----- الأستاذ محمد علي مختار
- ١٥ — تاريخ القرآن الكريم ----- الدكتور محمد سالم محيسن
- ١٦ — البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام ----- الأستاذ محمد محمود فرغلي
- ١٧ — حقوق المرأة في الاسلام ----- الدكتور محمد الصادق عفيفي
- ١٨ — القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١] ----- الأستاذ احمد محمد جمال
- ١٩ — القراءات احكامها ومصادرها ----- الدكتور شعيبان محمد اسماعيل
- ٢٠ — المعاملات في الشريعة الاسلامية ----- الدكتور عبد الستار السعيد
- ٢١ — الزكاة فلسفتها واحكامها ----- الدكتور علي محمد العماري
- ٢٢ — حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم ----- الدكتور ابو اليزيد العجمي
- ٢٣ — الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ----- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- ٢٤ — الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ----- الدكتور عدنان محمد وزان
- ٢٥ — الاسلام والحركات الهدامة ----- معالي عبد الحميد حمودة
- ٢٦ — تربية النشء في ظل الاسلام ----- الدكتور محمد محمود عمارة
- ٢٧ — مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي ----- الدكتور محمد شوقي الفنجري
- ٢٨ — وحي الله ----- الدكتور حسن ضياء الدين عتر
- ٢٩ — حقوق الانسان وواجباته في القرآن ----- حسن احمد عبد الرحمن عابدين
- ٣٠ — المنهج الاسلامي في تعليم العلوم الطبيعية ----- الأستاذ محمد عمر القصار
- ٣١ — القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] ----- الأستاذ احمد محمد جمال

الدكتور السيد رزق الطويل	٢٢- الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج
الاستاذ حامد عبد الواحد	٢٣- الاعلام في المجتمع الاسلامي
عبد الرحمن حسن حبيكة الميداني	٢٤- الالتزام الديني منهج وسط
الدكتور حسن الشرقاوي	٢٥- التربية النفسية في المنهج الاسلامي
الدكتور محمد الصادق عفيفي	٢٦- الاسلام والعلاقات الدولية
اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ	٢٧- العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية
الدكتور محمود محمد بابلي	٢٨- معاني الاخوة في الاسلام ومقاصدها
الدكتور علي محمد نصر	٢٩- النهج الحديث في مختصر علوم الحديث
الدكتور محمد رفعت العوضي	٤٠- من التراث الاقتصادي للمسلمين
د. عبد العليم عبد الرحمن خضر	٤١- المفاهيم الاقتصادية في الاسلام
الاستاذ سيد عبد المجيد بكر	٤٢- الاقليات المسلمة في افريقيا
الاستاذ سيد عبد المجيد بكر	٤٣- الاقليات المسلمة في أوروبا
الاستاذ سيد عبد المجيد بكر	٤٤- الاقليات المسلمة في الأمريكتين
الاستاذ محمد عبد الله فودة	٤٥- الطريق إلى النصر
الدكتور السيد رزق الطويل	٤٦- الاسلام دعوة حق
د. محمد عبد الله الشرقاوي	٤٧- الاسلام والنظر في آيات الله الكونية
د. البدراوي عبد الوهاب زهران	٤٨- دحض مقتريات
الاستاذ محمد ضياء شهاب	٤٩- المجاهدون في فطاني
الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان	٥٠- معجزة خلق الانسان
الدكتور سيد عبد الحميد مرسي	٥١- مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية
الاستاذ انور الجندي	٥٢- ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي
الدكتور محمود محمد بابلي	٥٣- الشورى سلوك والالتزام
اسماء عمر فدعق	٥٤- الصبر في ضوء الكتاب والسنة
الدكتور احمد محمد الخراط	٥٥- مدخل إلى تحصين الأمة
الاستاذ احمد محمد جمال	٥٦- القرآن كتاب أحكمت آياته [٣]
الشيخ عبد الرحمن خلف	٥٧- كيف تكون خطيباً
الشيخ حسن خالد	٥٨- الزواج بغير المسلمين
محمد قطب عبد العال	٥٩- نظرات في قصص القرآن
الدكتور السيد رزق الطويل	٦٠- اللسان العربي والاسلامي معاً في مواجهة التحديات
الاستاذ محمد شهاب الدين الندوي	٦١- بين علم آدم والعلم الحديث
الدكتور محمد الصادق عفيفي	٦٢- المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان
الدكتور رفعت العوضي	٦٣- من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]
الاستاذ عبد الرحمن حسن حبيكة	٦٤- تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد

الشهيد احمد سامي عبد الله	٦٥- لماذا وكيف أسلمت [١]
الاستاذ عبد الغفور عطار	٦٦- أصلح الأديان عقيدة وشرعة
الاستاذ احمد المخزنجي	٦٧- العدل والتسامح الاسلامي
الاستاذ احمد محمد جمال	٦٨- القرآن كتاب أحكمت آياته [٤]
محمد رجاء حنفي عبد المتجلى	٦٩- الحريات والحقوق الاسلامية
الدكتور نبیه عبد الرحمن عثمان	٧٠- الانسان الروح والعقل والنفس
الدكتور شوقي بشير	٧١- كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية
الشيخ محمد سويد	٧٢- الاسلام وغزو الفضاء
الدكتورة عصمة الدين كركر	٧٣- تأملات قرآنية
الاستاذ ابو اسلام احمد عبد الله	٧٤- الماسونية سرطان الامم
الاستاذ سعد صادق محمد	٧٥- المرأة بين الجاهلية والاسلام
الدكتور علي محمد نصر	٧٦- استخلاف آدم عليه السلام
محمد قطب عبد العال	٧٧- نظرات في قصص القرآن [٢]
الشهيد احمد سامي عبد الله	٧٨- لماذا وكيف أسلمت [٢]
الاستاذ سراج محمد وزان	٧٩- كيف نُدرّس القرآن لابنائنا
الشيخ ابو الحسن الندوي	٨٠- الدغوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ
الاستاذ عيسى العربي	٨١- كيف بدأ الخلق
الاستاذ احمد محمد جمال	٨٢- خطوات على طريق الدعوة
الاستاذ صالح محمد جمال	٨٣- المرأة المسلمة بين نظرتين
محمد رجاء حنفي عبد المتجلى	٨٤- المبادئ الاجتماعية في الاسلام
د. ابراهيم حمدان علي	٨٥- التآمر الصهيوني الصليبي على الاسلام
د. عبد الله محمد سعيد	٨٦- الحقوق المتقابلة
د. علي محمد حسن العماري	٨٧- من حديث القرآن على الانسان
محمد الحسين ابوسم	٨٨- نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة
جعان عايش الزهراني	٨٩- أسلوب جديد في حرب الاسلام
سليمان محمد العيضي	٩٠- القضاء في الاسلام
الشيخ القاضي محمد سويد	٩١- دولة الباطل في فلسطين
د. حلمي عبد المنعم جابر	٩٢- المنظور الاسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل
رحمة الله رحمتي	٩٣- التهجير الصيني في تركستان الشرقية
اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي	٩٤- الفطرة وقيمة العمل في الاسلام
الاستاذ احمد محمد جمال	٩٥- أوصيكم بالشباب خيراً
اسماء ابو بكر محمد	٩٦- المسلمون في دوائر النسيان
محمد خير رمضان يوسف	٩٧- من خصائص الاعلام الاسلامي

٩٨ — الحرية الاقتصادية في الاسلام	د. محمود محمد بابايلي
٩٩ — من جماليات التصوير في القرآن الكريم	الأستاذ محمد قطب عبد العال
١٠٠ — مواقف من سيرة الرسول	الأستاذ محمد الامين
١٠١ — اللسان العربي بين الانحسار والانتشار	الأستاذ محمد حسنين خلاف
١٠٢ — اخطار حول الاسلام	الأستاذ هاشم عقيل عزوز
١٠٣ — صلاة الجماعة	د. عبد الله محمد سعيد
١٠٤ — المستشرقون والقرآن	د. اسماعيل سالم عبد العال
١٠٥ — مستقبل الاسلام بعد سقوط الشيوعية	الأستاذ انور الجندي
١٠٦ — الاقتصاد الاسلامي هو البديل	د. شوقي احمد دنيا
١٠٧ — توجيه وارشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ	عبد المجيد احمد منصور
١٠٨ — المخدرات مضارها على الدين والدنيا	الدكتور ياسين الخطيب
١٠٩ — في ظلال سيرة الرسول ﷺ	الأستاذ احمد المخزنجي
١١٠ — أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	محمود محمد كمال عبد المطلب
١١١ — زينة المرأة بين الاباحة والتحريم	د. حياة محمد علي عثمان خفاجي
١١٢ — التربية الاسلامية كيف نرغبها لابنائنا	د. سراج محمد عبد العزيز وزان
١١٣ — النموذج العصري للجهاد الافغاني	عبد رب الرسول سيف
١١٤ — المسلمون حديث ذو شجون	الأستاذ احمد محمد جمال
١١٥ — الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم	ناصر عبد الله العمار
١١٦ — المسلمون في بورما .. التاريخ والتحديات	نور الاسلام بن جعفر علي آل فايز
١١٧ — آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم	د. جابر المتولي تميمة
١١٨ — اللباس في الاسلام	أحمد بن محمد المهدي
١١٩ — أسس النظام المالي في الاسلام	الأستاذ محمد أبو الليث
١٢٠ — المستشرقون والقرآن — ٢ —	د. اسماعيل سالم عبد العال
١٢١ — الاسلام هو الحل	القاضي الشيخ محمد سويد
١٢٢ — من حصاد الفكر الاسلامي	د. محمد محي الدين سالم





**سيصدر  
قريباً  
من هذه  
السلسلة**

● **خواطر اسلامية**

تأليف : ساري محمد الزهراني

● **ورقة بن نوفل**

تأليف : الدكتور عويد المحطري

● **الإسلام ومكافحة المخدرات**

بقلم : عبد الكافي اسماعيل عبد الفتاح

● **دروس تربوية نبوية**

بقلم : صالح أبو عراد الشهري

● **زواج المسلمة بغير مسلم**

تأليف : الدكتور محمود محمد بابلي

● **الإعلام الإسلامي**

تأليف الأستاذ : إبراهيم اسماعيل

● **في نور القرآن الكريم**

تأليف : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي